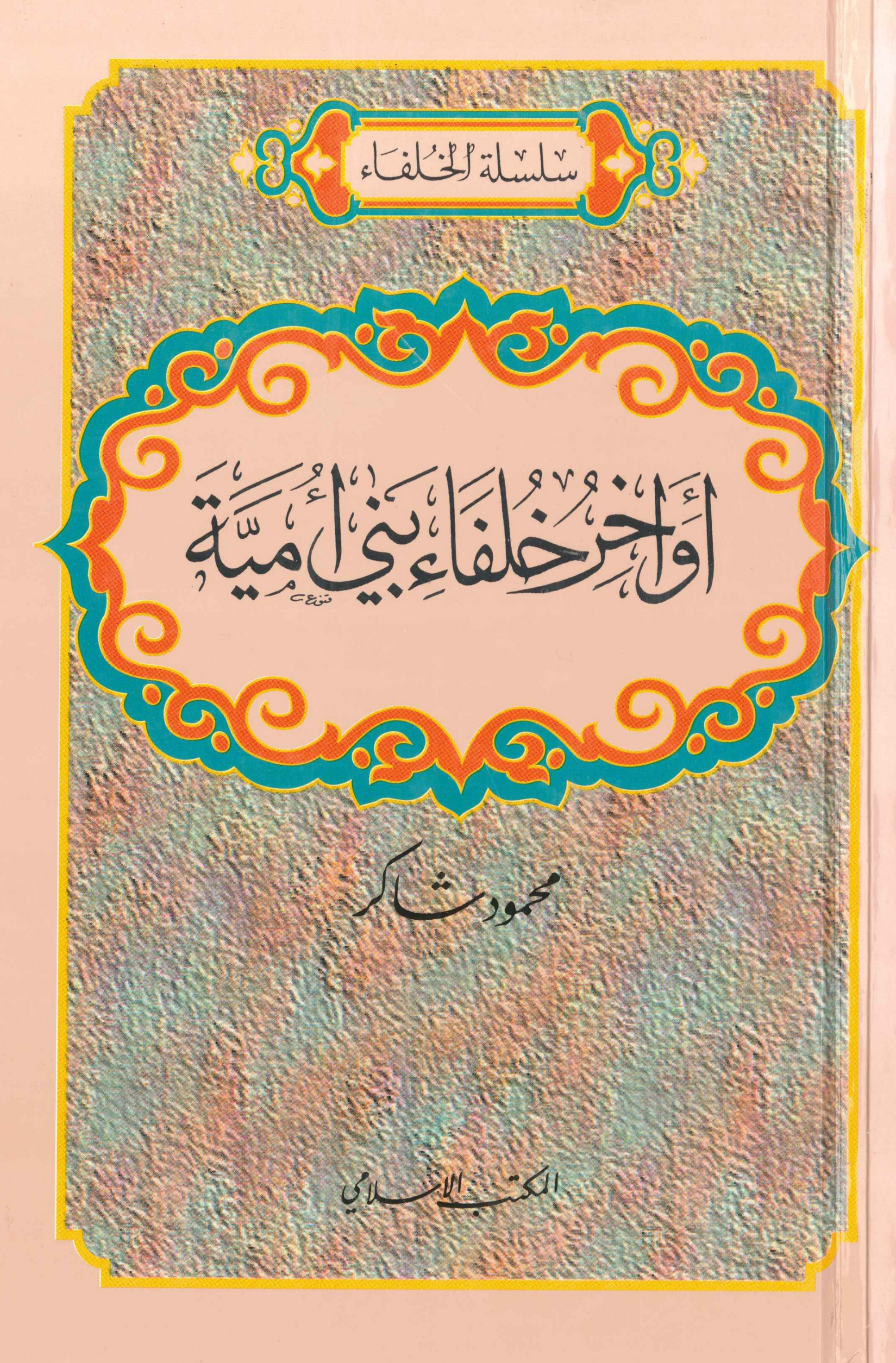


سلسلة الخلفاء
أواخر خلفاء بني أمية
محمود شاكر
المكتب الإسلامي

سلسلة الخلفاء

١٤ - ١٧



أواخر خلفاء بني أمية

الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥ - ١٢٦ هـ

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ - ١٢٦ هـ

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ - ١٢٧ هـ

مروان بن محمد بن مروان ١٢٧ - ١٣٢ هـ

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وعلى إخوانه الأنبياء والرسل، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن مُلك بني أمية قد أخذ بالتسارع نحو النهاية، والاقتراب من وداع السلطان، وفسح المجال لآخرين لاستلام الحكم، وتحمّل أعباء الخلافة، وذلك بعد انتهاء أيام هشام بن عبد الملك التي تُعدّ نهايتها بدء انحسار عهد بني أُميّة، ذلك أنه:

جاء إلى السلطة خلفاء وهم في سنٍّ صغيرةٍ لم تعركهم الحياة فما عرفوا الحكمة، ولم يُمارسوا القيادة فما تعلّموا الحنكة، ولم يعملوا في الإدارة فما استفادوا من التجربة، ولم يختلطوا بالرجال فما أخذوا الخبرة، ولم يدرسوا على أيدي الشيوخ فما نالوا علماً، بل نشأوا على الترف فاعتادوا الكسل، وانصرفوا إلى اللهو فأخلدوا إلى الدنيا، وأغوتهم بزينتها فتركوا الجدّ،

وأغفلوا الجهاد، وأهملوا الاستعداد، وانصرفوا إلى الملذّات. ونافسوا غيرهم فأساءوا الظنّ بالآخرين، ولو كانوا أولي قُربى، ولم يقبلوا من أحدٍ نُصحاً ولو كان ألصق الناس بهم، فنفّذوا آراءهم بالإساءة لأبناء أُسرتهم، وحقّقوا رغباتهم بالضغط على الآخرين، وأصدروا أوامرهم على ذويهم، وما ذلك إلا لقلّة خبرتهم وعدم درايتهم، فاختلف بنو أُميّة بعضهم مع بعضٍ، ووقع صراع فيما بينهم فانفرط تماسكهم، وضعفت قوتهم، وطمع فيهم الخصم. كما التفّ حولهم أشخاص أصحاب أطماعٍ فيسيرون بهم في طريقٍ غير سويٍّ، ويُبعدونهم عن الحق ليربحوا من ورائهم، وليُحقّقوا أهدافهم من شهوةٍ ومالٍ.

وصعُب على أهل الخير ـ وما أكثرهم في المجتمع الإسلامي وخاصةً في ذلك العصر، عصر التابعين، وهو القرن الثاني في الخيرية بعد القرن الذي عاش فيه رسول الله ﷺ، وصحبه الكرام ـ صعُب على هؤلاء أن يروا الذي يجري، خلاف بين المسؤولين، ونزاع بين الذين تتجه إليهم الأنظار، وصراع بين أُولي القُربى، والانصراف إلى الدنيا، وتوقف انتشار الإسلام، وبُطء الجهاد، وظهور العصبيات. تكلّم هؤلاء

ونصحوا وأدّوا ما عليهم ووعظوا، وسمع منهم كثيرون واستفادوا، وحمل المرجفون وأهل الأهواء أقوال أهل الخير واتّخذوها للطعن في الخلافة، ولإيقاع الفتنة، وبثّ الوهن في النفوس وذلك كله لإضعاف الأمة، وذهاب ريحها، وأما الذين أغرتهم الدنيا وزخرفها فلم يسمعوا شيئاً إذ أن آذانهم في صممٍ، وعقولهم تسبح في زينة الدنيا، ورغم قلّتهم فهم في موقعٍ ذي أثرٍ.

وكانت العصبية الجاهلية قد أخذت تظهر منذ مدةٍ، تندلع في إقليمٍ ثم يُقضى عليها أو تزول لأنها ممقوتة بين أبناء الأمة لمحاربة الإسلام لها. وبدأت تتزايد إذ وُجد من يشعل نارها ويزيد أوارها ذلكم هم المغرضون الذين أسلمت ألسنتهم ولم تُؤمن قلوبهم، فهم يبغون إشعالها تهديماً في العقيدة بإحداث شرخٍ، وبثّ الفتنة، وإضعاف الأمة الإسلامية عسى أن يعود لقومهم مجده، ولمجوسيتهم مكانتها، ولن يتمّ هذا حسب مخططهم إلا بتفتيت الأمة المسلمة إلى قبائل وشعوبٍ متنافرةٍ، وبعودة العرب حسب مفهومهم القومي إلى قبائل متناحرةٍ يُغير بعضها على بعضٍ، ويغزو بعضها بعضاً لأتفه الأسباب كما كانت الحال في الجاهلية.

ولما وجد المغرضون الحاقدون ما آل إليه الوضع من خلافٍ، وعصبيةٍ، وتقاعسٍ، وانصرافٍ عن الجهاد إلى الدنيا تحرّكوا بهمةٍ، فأظهروا المغالاة في محبة آل البيت، وأعلنوا ولاءهم لبني العباس، وصرّحوا بمعاداتهم لبني أمية بصفتهم خلفاء يمثّلون الحكم الإسلامي، وردّدوا أقوال أهل الخير والصلاح، كل ذلك في سبيل أغراضهم وعصبيتهم وليس هناك من نصيبٍ لما يُعلنون ويُظهرون، وصدّقهم بنو العباس حيث كانت أهدافهم تطغى على كل شيءٍ في تفكيرهم، فلا يرون إلا ما يرمون إليه وإن كان من بينها الخلاص من الفوضى وعدم الالتزام الدقيق. كما صدّق المغرضين بعض العامة الذين يأخذون الأقوال على ظاهرها، ومنها الدعوة إلى الخير اسماً، والدعوة إلى الرضا من آل البيت.

وتعبّأت الجهود، وتكاتفت الأيدي، وتحرّكت الرجال، وتمكّنت أن تقضي على الكيان الأموي، وأن تُقيم كياناً جديداً يتصدّره بنو العباس. ولكن ما أن قامت الخلافة العباسية حتى أخذ المغرضون يُسيئون فيرتكبون أبشع الجرائم، وأشنع التصرّفات، وأقذر الأعمال حقداً على الأمة كلها وعلى عقيدتها باسم

الحقد على بني أمية، ثم إساءةً للعهد الجديد بهذه التصرّفات فلا يلقى التأييد من الأمة، ولا يحصل على الرضا من العامة، لأن المغرضين يعلمون أنهم سيعملون ضدّه بعد حينٍ فيجب ألا تكون ركائزه قويةً، ولا قواعده ثابتةً. وفعلاً ما كاد يستقرّ الوضع لبني العباس حتى أخذت الدسائس تظهر؛ فتارةً يتخذ المغرضون آل عليّ دريئةً يتقون بها ضدّ بني العباس كما سبق لهم أن اتّخذوا بني العباس دريئةً ضدّ بني أُميّة، وربما رفعوا راية آل عليٍّ، ليكسبوا الأعوان وليظهروا بمظهر الإسلام. وربما ظهر بعضهم على حقيقته فكان من الخرّمية، والمانوية، والمزدكية وتلك حركات الزندقة صراحةً، وربما انتقل بعضهم بين هذه الحركات كلها، ما دامت جميعها كافرةً، مُهدّمةً تريد إحياء العصبية الجاهلية القديمة كما تريد العودة إلى المجوسية، فأية حركةٍ بدت له أقرب إلى هدفه انضمّ إليها، وانخرط بين صفوفها.

وقد استُخلف في هذه المرحلة أربعة خلفاء من بني أمية، وهم:

١ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

٢ ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك.

٣ ـ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك.

٤ ـ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

غير أن الخلفاء الثلاثة الأوائل لم تصل مدة خلافتهم جميعاً إلى السنتين بل دون ذلك بشهرين، وكانت تلك المدة خلافاتٍ وصراعاً، وينتهي الواحد منهم بالقتل أو الخلع، وإذا كانت مدة الرابع منهم قد قاربت السنوات الستّ غير أنها كانت مليئةً بالحركات والصراع، ومقاومة الحركة التي حملت اسم العباسيين، وأخيراً قُتل آخر خليفةٍ من بني أُميّة وهو مروان بن محمد بمصر في نهاية سنة اثنتين وثلاثين، وبدأ بعدها عهد بني العباس.

ومن المؤسف أن المؤرخين قد تأثّروا بما ارتكب أولئك الذين انخرطوا تحت قيادة الدعوة العباسية لتحقيق أهدافهم، فأساءوا أبلغ الإساءة وما هم بالمسلمين ـ حسب الظاهر ـ إذ نحكم على الأفعال التي تُنبئ عما يُكنّه الباطن ـ والله أعلم ـ، ونُسبت أعمالهم السيئة إلى بني العباس، وهم من المسلمين، بصفتهم القادة، وأصحاب الدعوة، وتُنسب عادةً الأفعال التي يقوم بها الأفراد إلى قيادتهم ومسؤوليهم، وعلى هذا نسب المؤرخون أعمال ودسائس الذين أسلموا بألسنتهم،

وأظهروا ذلك، ولم تُؤمن قلوبهم وأخفوا ذلك، نسبوا ذلك إلى بني العباس فأساءوا بذلك إلى المسلمين وإلى التاريخ، فأعطوا صورةً في منتهى السوء والحقد والوحشية إلى المسلمين، وهم لم يفعلوها وليس لهم دخل بها، بل قام بها الذين اندسّوا بينهم، وأظهروا ولاءهم لهم، وغالوا في إبداء محبتهم إليهم، وما هم كذلك بل يريدون تحقيق أهدافهم والوصول إلى أغراضهم الدنيئة. ودوّن المؤرخون هذا الخطأ فتناقلته الأجيال حتى غدا أقرب إلى الحقيقة لدى الخلف.

فمن يلاحظ نقطةً من هذا النوع فعليه أن يُنبّه لها ويحاول أن يُعيدها إلى مسارها الطبيعي، ويُبيّن سبب وقوع الخطأ.

نرجو من الله أن نُوفّق بإعطاء صورةٍ صادقةٍ عن هذه المرحلة من التاريخ، كما نرجو أن يمدّنا الله بعونه وتوفيقه فهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ

محمود شاكر

الباب الأول

الوليد بن يزيد بن عبد الملك

ربيع الثاني ١٢٥ - جمادى الآخرة ١٢٦ هـ

مقدمة

تولية فتىً لم يبلغ الحلم كافية لزعزعة الحكم، وكفيلة بتبديد ثروةٍ تعب في جمعها السلف، لذا كانت الوصاية على الصغار حتى يكبروا، يُوصى عليهم من أهل التقوى والخبرة. غير أن عاطفة الأبوة قد تزيد على حدّها فيخشون على أبنائهم من الأوصياء إذ يخافون أن ينزع الوصي السلطان ممن جُعل وصياً عليه أو يسحب منه الثروة، لذا يعهد بالأمر إليه دون وصايةٍ، فقد لا يحتمل الفتى ما آل إليه، وهو الغالب، فيحاول أن ينال ما يشتهي بسلطانه، أو يقهر من يريد بنفوذه، أو يُحقّق ما يرغب بثروته، أو يُذلّ من يقف أمامه بأعوانه ومن تحت يده، وربما يسير به أقرانه نحو الهاوية مستغلّين موقعه، مستفيدين من مكانه، أسخياء بماله، فيضجّ الناس من أعماله، ويتمنّون زواله، وتكثر أمامه المشكلات، وتجتمع عليه الفئات حتى يُغادر ما ورث، ويغادره ما آل عليه، ويصل إلى ما كان أبوه يخشاه عليه، فأضاع السلطان، وأتلف الثروة، وربما كان قد أضاع نفسه، وذهب ما

تعب عليه أجداده، وما بناه آباؤه، وزال عنه بناؤه وأمجاده.

وهذا ما كان من أمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك إذ أعطى عهد بني أمية دفعةً قويةً نحو السقوط، وخطا به خطوةً واسعةً نحو الانهيار حيث أساء لأفرادٍ منهم فهزّ كيانهم، وفرّق كلمتهم، وأوقع بينهم صراعاً، فهانوا في أعين خصومهم، فتشجّع الأعداء على الحركة، فزادوا من النشاط، وبذل الجهد، وبثّ الشائعات، وكثرة الافتراءات، وغدا المتأمّل على الساحة يتوقّع دنو خطر، ويتحسّس قدوم شرٍّ، فأعين العدو ساهرة تنتظر الفرصة المواتية، وهي مراقبة لكل ما يجري، ومن كل تصرّفٍ حذرة.

الفصل الأول

الوليد بن يزيد قبل الخلافة

ولد الوليد بن يزيد سنة تسعين، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف والي العراقين، وتولّى أبوه الخلافة في رجب سنة واحدة بعد المائة، فكان عمر الوليد إحدى عشرة سنة، فلم يستطع أبوه أن يعهد له، لذا عهد لأخيه هشام بن عبد الملك، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد. وما مات يزيد حتى بلغ الوليد سن الخامسة عشرة، لذا ندم يزيد على استخلافه هشام بعده، وكان إذا نظر إلى ابنه الوليد، قال: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك[1].

كان ابن خليفةٍ ومُرشّحاً لاستلام الخلافة، وهو في سنٍ صغيرةٍ، فصارت عنده نظرة استعلاءٍ، وفي

---

(١) تاريخ الطبري.

الوقت نفسه لم تكن عنده مبالاة بما يجري بل انصرف إلى اللهو، وما تحت يده كافٍ لينفق بالشكل الذي يحلو له، ويتصرّف بالشكل الذي يرتاح إليه.

وتوفي يزيد يوم الجمعة لخمسٍ بقين من شعبان سنة خمسٍ ومائة، وكان مرضه بالسلّ، وصلّى عليه الوليد، وتولّى أخوه هشام الخلافة في اليوم نفسه، وأصبح الوليد ولياً للعهد بشكلٍ رسميٍ فزادت نظرة الاستعلاء عنده، وكان عمه هشام يُكرمه ويُقرّبه، ويُقدّم له ما يرغب، ويُعطيه ما يُريد.

وأسرع نحو الوليد قرناء السوء يريدون تحقيق أغراضهم، وتحدّث الناس عن لهو الوليد، وبلغ ذلك هشاماً فأراد أن يصرفه عن ندمائه فولّاه الحج سنة تسع عشرة ومائة، ولكن ذلك لم يفد إذ بقي في تهاونه، فكثر حديث الناس عن ولي العهد، وكان الزهري يقدح أبداً عند هشام في الوليد ويعيبه، ويقول له: ما يحلّ لك إلا خلعه، فما يستطيع هشام.

ورغب أخيراً هشام في خلع الوليد بن يزيد من ولاية العهد والبيعة لابنه مسلمة بن هشام، فأراده على ذلك فأبى، فقال له: اجعل له من بعدك فأبى، فتنكّر له هشام، وأضرّ به، وعمل سراً في البيعة لابنه فأجابه

قوم، ورفض آخرون، ولما بلغ ذلك الوليد قال لعمّه:

كفرت يداً من منعمٍ لو شكرتها
جزاك بها الرحمن بالفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي
ولو كنت ذا حزمٍ لهدّمت ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينةً
فيا ويحهم إن متّ من شرّ ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قيلهم
ألا ليت أنا حين ياليت لا تُغني

وأخذ هشام بعد ذلك يعيب الوليد وينتقصه، وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به، فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق[1]، بين أرض بلقين وفزارة، على ماءٍ يقال له الأغدف، وخلّف كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرصافة، فقال له: اكتب إليّ بما يحدث قبلكم، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى، فشربوا يوماً، فقال الوليد لعبد الصمد: يا أبا وهب قل أبياتاً، فقال:

---

(١) وادٍ بالحجاز.

ألــم تــر لــلــنـجـم إذ شُـيّـعـا

يـبـادر فـي بـرجـه الـمـرجـعـا

تـحـيّـر عـن قـصـد مَـجْـراتِـهِ

أتى الغور والتمس المطلعا

فـقـلـت وأعـجـبـنـي شـأنـه

وقـد لاح إذ لاح لـي مُـطـمـعـا

لـعـلّ الـولـيـد دنـا مـلـكـه

فـأمـسى إلـيـه قـد استُـجـمـعـا

وكـنّـا نُـؤمّـل فـي مـلـكـه

كتأميل ذي الجدب أن يُمْرِعا

عـقـدنـا لـه مـحـكـمـات الأمـو

ر طـوعـاً فـكـان لـهـا مـوضـعـا

وروي الشعر فبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه، وكتب إلى الوليد: بلغني عنك أنك اتخذت خِدناً ومحدّثاً ونديماً، وقد حقّق ذلك عندي ما بلغني عنك، ولم أُبرّئك من سوءٍ، فأَخْرِج عبد الصمد مذموماً مدحوراً. فأخرجه، وقال فيه:

لـقـد قـذفـوا أبـا وهـبٍ بـأمـرٍ

كـبـيـرٍ بـل يـزيـد عـلـى الـكـبـيـر

فـأشـهـدوا أنـهـم كـذبـوا عـلـيـه

شـهـادة عـالـمٍ بـهـم خـبـيـر

وكتب الوليد إلى هشام يعلمه إخراج عبد الصمد، واعتذر إليه مما بلغه من منادمته، وسأله أن يأذن لابن سهيلٍ في الخروج إليه ـ وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرةٍ، وكان ابن سهيل من خاصة الوليد ـ فضرب هشام ابن سهيلٍ وسيّره، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد، فضربه ضرباً مبرّحاً، وألبسه المُسوح. فبلغ الوليد، فقال: من يثق بالناس، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على أهل بيته فصيّره ولي عهده، ثم يصنع بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحدٍ هوىً إلا عبث به، كتب إليّ أن أخرج عبد الصمد فأخرجته إليه، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيلٍ في الخروج إليّ، فضربه وسيّره، وقد علم رأيي فيه، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إليّ، وتحرّمه بي ومكانه مني، وأنه كاتبي فضربه وحبسه، يضارّني بذلك، اللهم أجرني منه، وقال:

أنا النذير لمسدي نعمةً أبداً

إلى المقاريف[1] ما لم يخبر الدخلا

(١) المقاريف: الأنذال.

إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بُطُراً
وإن أهنتهم ألفيتهم ذُلُلا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم
ستعلمون إذا كانت لنا دُوَلا
انظر فإن كنت لم تقدر على مَثَل
له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يُسمّنه للصيد صاحبه
حتى إذ ما قوي من بعد ما هزُلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته
ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وكتب إلى هشام: لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني، ومحو ما محا من أصحابي وحرمي وأهلي، ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه، فإن يكن ابن سهيلٍ كان منه ما كان فبحسب العيْر أن يكون قدر الذئب، ولم يبلغ من صنيعي في ابن سهيل واستصلاحه، وكتابي إلى أمير المؤمنين فيه كُنْه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي، فإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ، فقد سبّب الله لي من العهد، وكتب لي من العمر، وقسم لي من الرزق ما لم يقدر أحد

دون الله على قطع شيءٍ منه دون مدته، ولا صرف شيءٍ عن مواقعه، فقدر الله يجري بمقاديره فيما أحب الناس أو كرهوا، ولا تأخير لعاجله ولا تعجيل لآجله، فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله، ولا يستوجبون العقوبة عليه، وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك والحفظ له، والله الموفق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له في الأمور.

أليس عظيماً أن أرى كل واردٍ
حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مصرّداً
بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت ممن كنتُ آملُ منكمُ
وليس بلاقٍ ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عُرْض هبوةٍ
يشدّ عليها كفّه بالأنامل

فقال هشام لأبي الزبير: يا نسطاس، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بي حدث؟ قال: بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين، قال: ويحك لا بدّ من الموت، أفترى الناس يرضون بالوليد؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن له في أعناق الناس بيعةً.

وكتب هشام إلى الوليد: قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك، وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك، ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع، ومحو من محا مِن صحابتك، لأمرين: أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجري عليك، وهو يعلم وضعك له وإنفاقكه في غير سبيله، وأما الآخر فإثبات صحابتك، وإدرار أرزاقهم عليهم، لا ينالهم ما ينال المسلمين في كل عامٍ من مكروهٍ عند قطع البعوث، وهم معك تجول بهم في سفهك، ولأمير المؤمنين أحرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها، مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه. وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل، وكان أهلاً أن تسرّ فيه أو تساء، ما جعله الله كذلك، وهل زاد ابن سهيل - لله أبوك - على أن كان مغنياً زفّاناً[1]، قد بلغ في السفه غايته، وليس ابن سهيل مع ذلك بشرٍّ ممن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن

---

(١) الزفّان: الرقاص.

ذكرها، مما كنت لعمر الله أهلاً للتوبيخ به، ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك، إنك إذن لغير آلٍ عن هوى أمير المؤمنين من ذلك.

وأما ما ذكرت مما سبّب الله لك، فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك، واصطفاه له، والله بالغ أمره. لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه، أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرّاً ولا نفعاً، وإن الله وليّ ذلك منه، وإنه لا بدّ له من مزايلته، والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولّي أمرهم غير الرضي له منهم. وإن أمير المؤمنين من حسن ظنّه بربه لعلى أحسن الرجاء أن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم، فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره، أو يُؤدّيه شكره، إلا بعونٍ منه، ولئن كان قُدّر لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ، إن في الذي هو مفضٍ إليه إن شاء الله من كرامة الله لَخَلَفاً من الدنيا. ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكرٍ من سفهك وحمقك، فاربع على نفسك من غلوائها، وارقأ على ظلعك، فإن لله سطوات وعيناً، يصيب بذلك من يشاء، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله، وأمير المؤمنين يسأل العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه

وأرضاها له[1]. والسبب أنه تربّى في بيت الخلافة فكانت طلباته لا تُردّ، ويتصرّف فلا يعترض عليه أحد. ثم استخلف أبوه، وهو لا يزال في سنّ الطفولة فزادت طلباته وزاد الإسراع في تلبيتها، وكثرت أوامره وزاد الإسراع في تنفيذها، وكبُرت تصرّفاته مع كبر سِنّه وزيادة متطلباته وكثرة احتياجاته ورغباته ولم يكن هناك من معترضٍ على ذلك ولا من يجرؤ أن يقف في وجهه.

ومات أبوه، وتولّى عمّه هشام، وأصبح هو ولي العهد، ورعاه عمّه أحسن رعاية، وبقي يُعطيه ما يريد ويقدّم له ما يرغب، ويطلب أن تُحقّق رغباته وتُنفّذ أوامره فهو ولي العهد. فانصرف الوليد إلى اللهو، والتفّ حوله قرناء سوءٍ، وظنّ هكذا الحياة حتى غدا أمره يظهر فتألّم عمه الخليفة هشام فأراد تربيته والوقوف في وجهه حتى لا تسقط هيبة الخلافة، وتقلّ مكانة ولاية العهد، ورغم أن الوليد قد بلغ السابعة عشرة من العمر إلا أنه لم يرعو، ولم يستمع إلى عمه، ولا ينتبه إلى ما هو عليه من موقعٍ إذ هو محطّ أنظار الناس. وأخيراً اضطر عمه الخليفة أن يقطع عنه بعض عطائه

---

(١) تاريخ الطبري.

عسى أن يثوب إلى رشده فما زاده إلا تعنُّتاً وإصراراً على متابعة ما اعتاد عليه، وعدّ ذلك إهانةً من عمّه، وسار إلى وادي الأزرق في الحجاز يعيش هناك بعيداً عن عمه وخلافته ويحيا حياة لهوه مع خلّانه، ينال من عمّه إن وجد مناسبةً.

وبقي في تلك البرية على حاله حتى توفّي عمّه يوم السبت لست ليالٍ خلون من شهر ربيع الثاني وآل أمر الخلافة إليه حسب عهد أبيه.

الفصل الثاني

خلافة الوليد بن يزيد

لم يزل الوليد بن يزيد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بن عبد الملك، فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة، أرسل إلى أبي الزبير المنذر بن أبي عمرو، فأتاه فقال له: يا أبا الزبير، ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة، عرضت عليّ هموم، وحدّثت نفسي فيها بأمورٍ من أمر هذا الرجل، الذي أولع بي ـ يعني هشاماً ـ فاركب بنا نتنفَّس، فركبا، فسارا ميلين، ووقف على كثيبٍ، وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رهج، فقال: هؤلاء رسل هشام، ونسأل الله من خيرهم، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان، أحدهما مولى لأبي محمد السفياني، والآخر جَرْدَبَة.

فلما قربا أتيا الوليد، فنزلا يعدوان حتى دَنَوَا منه،

---

(١) تاريخ الطبري.

فسلّما عليه بالخلافة، فوجم، وجعل جَرْدَبة يُكَرّر عليه السلام بالخلافة، فقال: ويحك، أمات هشام؟ قال: نعم، قال: فممن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل. فقرأ الكتاب، وانصرفا فدعا مولى أبي محمد السفياني، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم، فقال: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله. فلما صار في حدٍّ لا تُرجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخُزّان، أن احتفظوا بما في أيديكم، فلا يصلنّ أحد منه إلى شيءٍ. وأفاق هشام إفاقةً فطلب منه شيئاً فمنعوه فقال: أرانا كنا خُزّاناً للوليد! ومات من ساعته. وخرج عياض من السجن، فختم أبواب الخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه، فما وجدوا له قُمْقُماً يُسخّن له فيه الماء حتى استعاروه، ولا وجدوا كفناً من الخزائن، فكفّنه غالب مولى هشام، فكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتي إلى الرصافة، فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذ عمّاله وحشمه، إلا مسلمة بن هشام، فإنه كتب إليه ألا يعرض له، ولا يدخل منزله، فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به، ويكفّه عنه. فقدم العباس الرصافة فأحكم ما كتب به إليه الوليد. وكتب إلى الوليد بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام فقال الوليد:

ليت هشاماً كان حيّاً يرى
مِحْلَبَه الأوفر قد أُتْرِعا

ويروى:

ليت هشاماً عاش حتى يرى
مكياله الأوفر قد طُبعا
كلناه بالصاع الذي كاله
وما ظلمناه به أصبعا
وما أتينا ذاك عن بدعةٍ
أحلّه الفرقان لي أجمعا

فاستعمل الوليد العمال، وجاءته البيعة من الآفاق، وكتب إليه العمال، وجاءته الوفود.

وكتب مروان بن محمد إلى الوليد: بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه من ولاية عباده، ووراثة بلاده، وكان من تغشّى غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاماً على ما حاول من تصغير ما عظّم الله من حق أمير المؤمنين، ورام من الأمر المستصعب عليه، الذي أجابه إليه المدخولون[1] في آرائهم وأديانهم، فوجد ما طمع فيه مستصعباً، وزاحمته الأقدار بأشدّ مناكبها.

---

(١) المدخول: الذي في عقله فساد.

وكان أمير المؤمنين بمكانٍ من الله حاطه فيه حتى أزّره بأكرم مناطق الخلافة، فقام بما أراه الله له أهلاً، ونهض مستقلاً بما حمّل منها، مثبتة ولايته في سابق الزُّبُر بالأجل المسمّى، وخصّه الله بها على خلقه، وهو يرى حالاتهم، فقلّده طوقها، ورمى إليه بأزمّة الخلافة، وعِصم الأمور.

فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته، ووثائق عُرا دينه، وذبّ له عما كاده فيه الظالمون، فرفعه ووضعهم، فمن أقام على تلك الخسيسة من الأمور أوبق نفسه، وأسخط ربه، ومن عدلت به التوبة نازعاً عن الباطل إلى حقٍ وجد الله توّاباً رحيماً.

أُخْبِرُ أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ أني عندما انتهى إليّ من قيامه بولاية خلافة الله، نهضت إلى منبري، عليَّ سيفان مستعداً بهما لأهل الغش حتى أعلمت من قِبَلي ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين، فاستبشروا بذلك، وقالوا: لم تأتنا ولاية خليفةٍ كانت آمالنا فيها أعظم ولا هي لنا أسرّ من ولاية أمير المؤمنين، وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكّدتها بوثائق العهود، وترداد المواثيق، وتغليظ الأيمان، فكلهم حسُنت إجابتهم وطاعتهم، فأثبهم يا

أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي آتاك، فإنك أجودهم جوداً، وأبسطهم يداً وقد انتظروك راجين فضلك قِبَلهم بالرحم الذي استرحموك، وزدهم زيادةً يُفْضَل بها من كان قبلك، حتى يظهر بذلك فضلك عليهم وعلى رعيتك، ولولا ما أحاول من سدّ الثغر الذي أنا به لخفت أن يحملني الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلاً على غير أمره، وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين، فإنها لا يعدلها عندي عادل نعمةٍ وإن عظمت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إليه لأشافهه بأمورٍ كرهت الكتاب بها فعل[1].

الخلافة:

لما تولّى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة كان قد بلغ خمساً وثلاثين سنةً من العمر، وذلك أنه:

ولد سنة	٩٠			
استُخلف أبوه يزيد سنة	١٠١	فكان عمر الوليد	١١ سنة، بويع ولياً لعهد عمه هشام.	
استُخلف عمه هشام سنة	١٠٥	فكان عمر الوليد	١٥ سنة، وأصبح ولياً للعهد.	
توفي هشام سنة	١٢٥	فكان عمر الوليد	٣٥ سنة، وأصبح خليفةً.	

---

(١) تاريخ الطبري.

فلما ولي الوليد بن يزيد الخلافة أجرى على زَمْنى[1] أهل الشام وعميانهم، وكساهم، وأمر لكل إنسانٍ منهم بخادمٍ، وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة، وزادهم على ما كان يُخرج لهم هشام، وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرةً عشرةً، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرةً عشرةً، لأهل الشام خاصةً، وزاد من وفد إليه من أهل بيته في جوائزهم الضعف، وكان وهو وليّ عهدٍ يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له (زيزاء) ثلاثة أيام، ويعلف دوابّهم، ولم يقل في شيءٍ يُسأله: لا، فقيل له: إن في قولك: أنظر، عدّةً ما يقيم عليها الطالب، فقال: لا أُعوّد لساني شيئاً ما لم أعتده، وقال:

ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق
بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معاً وزيادة
وأَعطية مني عليكم تبرّع
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم
به يكتب الكتاب شهراً وتطبع

(١) زَمْنى: الذين مضى على مرضهم زمناً دون معافاة.

ولاية العهد:

عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده، وجعلهما وليي عهده، أحدهما بعد الآخر، وجعل الحكم مقدّماً على عثمان، وكتب بذلك إلى الأمصار، وكان من كتب إليه بذلك يوسف بن عمرو، وهو عامل الوليد يومئذٍ على العراق، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيّار، وكانت نسخة الكتاب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيّار، أما بعد:

فإني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى من قِبلي في الذي ولّى الحَكَمَ ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقّال بن شبّة التميمي وعبد الملك القيني، وأمرتهما بالكلام في ذلك، فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس، ومرهم فليحشدوا له، وقم فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين، فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب، وائذن لمن أراد أن يقوم بخطبةٍ، ثم بايع الناس لهم على اسم الله وبركته، وخذ عليهم العهد والميثاق على الذي نسخت لك في آخر كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه، فافهمه وبايع عليه،

نسأل الله أن يبارك لأمير المؤمنين ورعيته في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين، وأن يصلح الحَكَمَ وعثمان، ويبارك لنا فيهما، والسلام عليك.

وكتب النضر يوم الخميسِ للنصف من شعبان سنة خمسٍ وعشرين ومائة:

بسم الله الرحمن الرحيم. تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة، وإن حدث بواحدٍ منهما حدث فأمير المؤمنين أملك في ولده ورعايته، يُقدّم من أحبّ، ويُؤخّر من أحبّ. عليك بذلك عهد الله وميثاقه، فقال الشاعر في ذلك:

نبايع عثمان بعد الوليـ
د للعهد فينا ونرجو يزيدا
كما كان ذاك في ملكه
يزيد يرجّي لذاك الوليدا
على أنها شَسَعت[1] شَسْعَةً
فنحن نؤمّلها أن تعودا

---

(١) شَسَع: بَعُد.

فإن هي عادت فأرض القريـ
ـب عنها ليؤيس منها البعيدا

قدم عقّال بن شبّة وعبد الملك بن نُعيم القيني على نصر بن سيّار، وقدما بالكتاب وهو:

أما بعد: فإن الله تباركت أسماؤه، وجلّ ثناؤه، وتعالى ذكره اختار الإسلام ديناً لنفسه، وجعله دين خيرته من خلقه، ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، فبعثهم به، وأمرهم به، وكان بينهم وبين من مضى من الأمم، وخلا من القرون قرناً فقرناً، يدعون إلى التي هي أحسن، ويهدون إلى صراط مستقيمٍ، حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمدٍ صلوات الله عليه، على حين دُروسٍ من العلم، وعميً من الناس، وتشتيت من الهوى، وتفرّقٍ من السبل، وطموسٍ من أعلام الحق، فأبان الله به الهدى، وكشف به العمى، واستنقذ به من الضلالة والردى، وأبهج به الدين، وجعله رحمةً للعالمين، وختم به وحيه، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله، وقفّى به على آثارهم، مُصدّقاً لما نزل معهم، ومهيمناً عليه، وداعياً إليه، وآمراً به حتى كان من أجابه من أمته، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به، مُصدّقين لما سلف من أنبياء الله فيما

يُكذّبهم فيه قومهم، منتصحين لهم فيما يُنْهَوْنه[1]، ذابّين لحرمهم عما كانوا منتهكين، مُعظّمين منها لما كانوا مُصغّرين، فليس من أمة محمد ﷺ أحد كان يسمع لأحدٍ من أنبياء الله فيما بعثه الله به مُكذّباً، ولا عليه في ذلك طاعناً، ولا له مؤذياً بتسفيهٍ له، أو ردٍّ عليه، أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه، فلم يبق كافر إلا استحلّ بذلك دمه، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه، وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم. ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته، حين قبض نبيه ﷺ، وختم به وحيه لإنفاذ حكمه، وإقامة سنته وحدوده، والأخذ بفرائضه وحقوقه، تأييداً بهم للإسلام، وتشييداً بهم لعُراه، وتقويةً بهم لقوى حبله، ودفعاً بهم عن حريمه، وعدلاً بهم بين عباده، وإصلاحاً بهم لبلاده، فإنه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[2]. فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه، لا يتعرّض لحقهم أحد إلّا صرعه الله، ولا يفارق جماعتهم أحد

---

(١) ينهونه: يبلّغونه. أنهى الشي: أبلغه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

إلّا أهلكه الله، ولا يستخفّ بولايتهم، ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلّا أمكنهم الله منه، وسلّطهم عليه، وجعله نكالاً وموعظةً لغيره، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر الله بلزومها، والأخذ بها، والأثرة لها، والتي قامت السموات والأرض بها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[1]. وقال عزّ ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده، وإليها صيّره، وبطاعة من ولّاه إياها سعد من ألهمها ونصرها، فإن الله عزّ وجلّ علم أن لا قوام لشيءٍ ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه، ويُحصي بها أمره وينكل بها عن معاصيه، ويوقف عن محارمه، ويذبّ عن حرماته، فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً ولأمره مطيعاً، ولرشده مصيباً، ولعاجل الخير وآجله مخصوصاً، ومن تركها ورغب عنها وحادّ الله فيها أضاع

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

نصيبه، وعصى ربه، وخسر دنياه وآخرته، وكان ممن غلبت عليه الشقوة، واستحوذت عليه الأمور الغاوية، التي تورد أهلها أفظع المشارع[1]، وتقودهم إلى شرّ المصارع، فيما يحلّ الله بهم في الدنيا من الذلّة والنقمة، ويصيرّهم فيما عندهم من العذاب والحسرة.

والطاعة رأس هذا الأمر وذِروته وسنامه ومِلاكه وزمامه، وعصمته وقوامه، بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد، وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم، واستوجبوا عليه ثوابهم، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته، ويصيبهم عليه، ويحق من سخطه وعذابه، وبترك الطاعة والإضاعة لها والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل بالمعصية أهلك الله من ضلّ وعتا، وعمي وغلا، وفارق مناهج البر والتقوى.

فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم، وألمّ بكم من الأمور، وناصحوها واستوثقوا عليها، وسارعوا إليها وخالصوها، وابتغوا القُربة إلى الله بها، فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم، وإفلاجه[2] حجتهم، ودفعه باطل من حادّهم وناوأهم وساماهم، وأراد إطفاء

---

(١) المشارع: جمع مشرعة، وهو مورد الشاربة.

(٢) أفلج لله حجته: نصرها وأظهرها.

نور الله الذي معهم، وخُبّرتم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم، حتى يؤول أمرهم إلى تبارٍ وصَغارٍ، وذلّةٍ وبوارٍ، وفي ذلك لمن كان له رأي وموعظة وعبرة يُنتفع بواضحها، ويتمسّك بحظوتها، ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها.

ثم إن الله ـ وله الحمد والمنّ والفضل ـ هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً لها في حقن دمائها، والتئام أُلفتها، واجتماع كلمتها، واعتدال عمودها، وإصلاح دهمائها، وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خلافته التي جعلها لهم نظاماً، ولأمرهم قواماً، وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه ليكون لهم عندما يحدث بخلفائهم ثقةً في المفزع وملتجأً في الأمر، ولمّاً للشعث، وصلاحاً لذات البين، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام، وقطعاً لنزغات الشيطان، فيما يتطلّع إليه أولياؤه، ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين وانصداع شعب أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه، فلا يريهم الله في ذلك إلا ما ساءهم، وأكذب أمانيّهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقد أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغالاً أو بها إغلالاً، أو لما شدّد الله منها

توهيناً، أو فيما تولّى الله منها اعتماداً، فأكمل الله بها لخلفائه وحِزبه البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن الذين عوّدهم، وسبّب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه، فأمر هذا العهد من تمام الإسلام، وكمال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام، ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه، وقضى به على لسانه، ووفّقه لمن ولّاه هذا الأمر عند أفضل الذخر، وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يُؤثر بهم من منفعته، ويتسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عزّه، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعةً، ويحرزهم به من كل مهلكةٍ، ويجمعهم من كل فُرقةٍ، ويقمع به أهل النفاق، ويعصمهم به من كل اختلافٍ وشقاقٍ، فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلّكم عليه من هذا العهد، الذي جعله لكم سكناً ومُعوّلاً تطمئنون إليه، وتستظلّون في أفنانه، ويستبهج لكم به مثنى أعناقكم وسِمات وجوهكم، وملتقى نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم، فإن لذلك خطراً عظيماً من النعمة، وإن فيه من الله بلاءً حسناً في سعة العافية، يعرفه ذوو الألباب والنيّات المرئيون من أعمالهم في العواقب، والعارفون منار مناهج الرشد، فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من

ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمده على الذي عزم لكم منه، وفضيلته في أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشيءٍ من الأمور أشدّ اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد، لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين، وما أراهم الله فيه من الأمور التي يغتبطون بها، ويكرمهم بما يقضي لهم ويختار له ولهم فيه جهده، ويستقضي له ولهم فيه إلهه ووليّه، الذي بيده الحكم، وعنده الغيب، وهو على كل شيءٍ قدير. ويسأله أن يُعينه من ذلك على الذي هو أرشد له خاصةً وللمسلمين عامةً.

فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهدٍ، تكونون فيه على مثل الذي كان عليه من كان قبلكم، في مهلةٍ من انفساح الأمل وطمأنينة النفس، وصلاح ذات البين، وعلم موضع الأمر الذي جعله الله لأهله عصمةً ونجاةً وصلاحاً وحياةً، ولكل منافقٍ وفاسقٍ يحب تلف هذا الدين وفساد أهله وقماً[1] وخساراً وقَدْعاً[2]. فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن

---

(١) الوقم: الإذلال.

(٢) القدع: الكف.

أمير المؤمنين، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه، في وفاء الرأي وصحة الدين، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور، ولم يألكم أمير المؤمنين ولا نفسه في ذلك اجتهاداً وخيراً.

فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده على السمع والطاعة، واحتسبوا في ذلك أحسن ما كان الله يريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم في أشباهه فيما مضى، من اليسر الواسع والخير العام والفضل العظيم الذي أصبحتم في رجائه وحفظه وأمنه ونعمته، وسلامته وعصمته، فهو الأمر الذي استبطأتموه واستسرعتم إليه، وحمدتم الله على إمضائه إياه، وقضائه لكم، وأحدثتم فيه شكراً، ورأيتموه لكم حظاً، تستبقونه وتجهدون أنفسكم في أداء حق الله عليكم، فإنه قد سبق لكم في ذلك من نِعم الله وكرامته وحسن قَسْمه ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه، وحَدَبكم عليه، على قدر الذي أبلاكم الله، وصنع لكم منه.

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحدٍ من وليي العهد حَدَث أولى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذي

• كان به من أحب أن يجعل من أمته أو ولده، ويقدّمه بين يدي الباقي منهما إن شاء، أو أن يؤخّره بعده فاعلموا ذلك وافهموه.

نسأل الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمٰن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكم في الذي قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه، وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطةً، فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو، ولا يرغب فيه إلا إليه. والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب سَمال يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من رجب سنة خمسٍ وعشرين ومائة[1].

الولايات:

ولّى الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على مكة والمدينة والطائف مكان خال عمه هشام وهو محمد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد[2]، ودفع إلى خاله خاليْ عمّه هشام

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) محمد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي: وهو خال الخليفة هشام بن عبد الملك. ولاه ابن أخته هشام =

وهما: إبراهيم[1] ومحمد اللذان توليا أمر الحجاز دفعهما موثقين في عباءتين، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة خمسٍ

= إمرة مكة والمدينة والطائف سنة أربع عشرة ومائة، فأقام على ذلك حتى ولي الوليد بن يزيد فعزله، ثم بعثه مع أخيه إبراهيم بن هشام موثقين بالحديد إلى والي العراق يوسف بن عمر الثقفي فعذبهما حتى ماتا.

(١) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي، كان أمير الحجاز قبل أخيه، ومات تحت العذاب مع أخيه. واشتهر إبراهيم بشدته وعتوه، وولي أمر مكة والمدينة والطائف سنة سبعٍ ومائة، ضيّق على آل الزبير بن العوّام، فشكاه عبد الله بن عروة بن الزبير إلى هشام عندما زار المدينة سنة ثلاث عشرة ومائة، وكان مما قال له: لقد أعطيتمونا عهدكم وأعطيناكم طاعتنا، فإما وفيتم لنا بما أعطيتمونا، وإما رددتم علينا بيعتنا.
وذلك أن يحيى بن عروة أخا عبد الله كان قد وفد على عبد الملك بن مروان، وسأله أن يردّ على آل الزبير ما قبض من أموالهم، فذكر عبد الملك ما كان من عمّ عبد الله وهو عبد الله بن الزبير، وتناوله بكلمات استفزت يحيى، ففاخر هذا بأن عبد الله بن الزبير عمّه، وأن مروان بن الحكم خاله (والد عبد الملك)، وقال: أما عبد الله فكان لا يسمعنا فيكم شيئاً نكرهه، فاستحيا عبد الملك، وقال: ولن تسمع مني شيئاً تكرهه وأمر بردّ ما قبض من ماله.
ويَبدو أن يحيى بن عروة نظم أبياتاً عرّض فيها بإبراهيم حين ولي المدينة فأثاره، فضربه إبراهيم حتى مات تحت العذاب.

وعشرين ومائة، فأقامهما للناس بالمدينة، ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر الثقفي[1]، وهو يومئذٍ عامله على العراق، فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما، وقد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالاً كثيراً.

وولّى الوليد على خرسان كلها نصر بن سيّار[2]

---

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي، أبو يعقوب: أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي، كانت منازل أهله في البلقاء بالأردن، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ستٍ ومائة، ثم نقله هشام إلى العراق سنة إحدى وعشرين ومائة، وأضاف إليه إمرة خراسان، فاستخلف ابنه (الصلت) على اليمن. قتل سلفه بالإمارة خالد بن عبد الله القسريّ تحت العذاب، واستمرّ بالإمرة إلى عهد يزيد بن الوليد، فعزله يزيد سنة ستٍ وعشرين ومائة، وقبض عليه، وحبسه في دمشق إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسريّ من قتله في السجن ثأراً لأبيه، كان صغير الحجم، قصير القامة، عظيم اللحية، فصيحاً، جواداً، مهيباً، جبّاراً، ظلوماً.

(٢) نصر بن سيّار بن رافع بن حَرِّي بن ربيعة الكناني، أبو الليث: ولد سنة إحدى وستين، وولي إمرة خراسان سنة عشرين ومائة بعد وفاة أسد بن عبد الله القسريّ، ولّاه هشام بن عبد الملك. كان شيخ المضريّة بخراسان، ومن الخطباء الشعراء، ومن أصحاب التدبير في الحروب، وتوفي في (ساوة) سنة إحدى وثلاثين ومائة.

وأفرده بها، غير أن عامل العراق يوسف بن عمر الثقفي لم يرق له هذا فوفد على الوليد، وقدّم له مالاً مقابل إعادة خراسان تابعةً للعراق، فردّ الوليد إلى العراق نصر بن سيار وعمّاله.

وطلب يوسف بن عمر من نصر بن سيّار أن يفد إلى الوليد مع أهله وعمّاله، ويحمل له الهدايا وما يستطيع من عظيم التحف، غير أن نصر بن سيّار أخذ يتباطأ، ويتأخّر حتى اندلعت الفتنة، وقُتل الوليد، إذ كان يشمّ رائحة الدخان، وكأنه يرى اللهب من بعيدٍ.

وكان عامل إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي[1].

وعزل الوليد عن الأندلس ثعلبة بن سلامة

---

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي، أبو حفص: أمير من الشجعان، من أهل دمشق، استخلفه أخوه بشر على إمارة مصر سنة ثلاثٍ ومائة، وأقره يزيد بن عبد الملك، وعزله هشام بن عبد الملك سنة خمسٍ ومائة، ثم أعاده إليها هشام نفسه سنة تسع عشرة ومائة إلى سنة أربعٍ وعشرين ومائة، ونقل إلى إفريقية والياً عليها، وثورة البربر مندلعة فيها فقمعها. وأرسل إلى الأندلس فدانت له. واستقرّ هناك إلى أن اضطرب أمر الخلافة في الشام، فأخرجه أهل إفريقية سنة تسعٍ وعشرين ومائة، فعاد إلى الشام، ومات بعد مدةٍ حوالي سنة ثلاثين ومائة.

العاملي[١] في رجب سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وولّى مكانه أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[٢].

يحيى بن زيد بن عليٍّ بن الحسين:

وصل يحيى بن زيد إلى خراسان سرّاً، وأقام ببلْخ عند الحَريش بن عمرو بن داود حتى توفي هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فكتب يوسف بن عمر الثقفي إلى نصر بن سيّار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل، حتى أخبره أنه

---

(١) ثعلبة بن سلامة بن جحدم العاملي: والٍ من رجال الدولة المروانية بالشام، ولي الأردن، ثم الأندلس، فأقام بقرطبة، ثم عزل، ورجع إلى الشام، وقتل مع مروان بن محمد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(٢) حسام بن ضرار بن سلامان بن خيثم بن ربيعة الكلبي ثم الربعيّ، أبو الخطار: كان حازماً شجاعاً فصيحاً شاعراً، أقام بقرطبة، وكثر أهل الشام وغيرهم عنده، ففرّقهم في البلاد، فأنزل أهل دمشق إلبيرة، وسمّاها دمشق لشبهها بها. وأنزل أهل حمص إشبيلية، وسمّاها حمص، وأنزل أهل الأردن ريّة، وسمّاها الأردن، وأنزل أهل فلسطين شذونة، وسمّاها فلسطين.

تعصّب أبو الخطار لليمانية، وتحامل على المضرية فثار في وجهه الصميل بن حاتم، وجرت بينهما أيام وأخيراً قتل أبو الخطار سنة ثلاثين ومائة، قتله الصميل.

عند الحَريش، وقال له: ابعث إليه وخذه أشدّ الأخذ. فبعث نصر بن سيّار إلى عقيل بن معقِل العجليّ، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علي بن الحسين. فبعث إليه عقيل، فسأله عنه، فقال: لا علم لي به، فجلده ستمائة سوطٍ، فقال له الحَريش: والله لو أنه كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه، فلما رأى ذلك قريش بن الحَريش أتى عقيلاً، فقال: لا تقتل أبي، وأنا أدلك عليه، فأرسل معه فدلّه عليه، وهو في بيتٍ في جوف بيتٍ، فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس ـ كان قد أقبل معه من الكوفة ـ فأتى به نصر بن سيّار فحبسه، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك، فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد، فكتب الوليد إلى نصر بن سيّار، يأمره أن يؤمنه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه، فدعاه نصر بن سيّار، فأمره بتقوى الله وحذّره الفتنة، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد، وأمر له بألفي درهمٍ وبغلين، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سَرَخْس، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عبّاد، فكتب إليه نصر بن سيّار أن يشخصه عنها، وكتب إلى الحسن بن زيد التميمي ـ وكان رأس بني تميم، وكان على طوس ـ أن انظر يحيى بن زيد، فإذا مرّ بكم فلا تدعه يقيم

بطوس حتى يخرج منها، وأمره إذا هو مرّ به ألّا يفارقه حتى يدفعه إلى عمْرو بن زرارة بـ (أَبْرَ شَهر) فأشخصه عبد الله بن قيس من سَرَخس، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي، ووكّل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبري أبا الفضل، وكان على مسلحةٍ.

قال: فدخلت عليه، فذكر نصر بن سيّار وما أعطاه، فإذا هو كالمستقلّ له، فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد، فأثنى عليه، وذكر مجيئه بأصحابه معه، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يسمّ أو يغمّ، وعرّض بيوسف، وذكر أنه إياه يتخوّف، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ، فقلت له: قل ما أحببت رحمك الله، فليس عليك مني عين، فقد أُتي إليك ما تستحق أن تقول فيه. ثم قال: العجب من هذا الذي يقيم الأحراس أو أمر الأحراس، قال ـ وهو حينئذٍ يتفحّص ـ: والله لو شئت أن أبعث إليه، فأوتى به مربوطاً. فقال: فقلت له: لا والله ما بك صُنع هذا، ولكن هذا شيء لا يصنع في هذا المكان أبداً، لمكان بيت المال. قال: واعتذرت إليه من مسيري معه، وكنت أسير معه على رأس فرسخٍ، فأقبلنا معه حتى وقعنا إلى

عمرو بن زرارة، فأمر له بألف درهمٍ، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بيهق، وخاف اغتيال يوسف إياه، فأقبل من بيهق ـ وهي أقصى أرض خراسان، وأدناه من قومس ـ فأقبل في سبعين رجلاً إلى عمرو بن زرارة، ومرّ به تجار، فأخذ دوابهم، وقال: علينا أثمانها. فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيّار، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة فهو عليهم، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه، فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف، وأتاهم يحيى بن زيد، وليس هو إلّا في سبعين رجلاً، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة، وأصاب دوابّ كثيرةً، وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بـ (هراة)، وعليها مغلس بن زياد العامريّ، فلم يعرض واحد منهما لصاحبه، فقطعها يحيى بن زيد، وسرّح نصر بن سيّار سلْم بن أحوز في طلب يحيى بن زيد، فأتى هراة حين خرج منها يحيى بن زيد فأتبعه فلحقه بـ (الجوزجان) بقريةٍ منها، وعليها حماد بن عمرو السُّغدي.

ولحق بيحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له: أبو العجلان فقُتل يومئذٍ معه، ولحق به الحسحاس

الأزديّ فقطع نصر بن سيّار بعد ذلك يده ورجله.

فبعث سلْم بن أحوز سورة بن محمد بن عزيز الكندي على ميمنته، وحماد بن عمرو السُّغديّ على ميسرته فقاتله قتالاً شديداً، فذكروا أن رجلاً من عَنَزَة يقال له: عيسى، مولى عيسى بن سليمان العَنَزيّ رماه بنشّابةٍ فأصاب جبهته[1] فقُتل.

الفتنة:

استخلف أربعة من أبناء عبد الملك بن مروان، وهم: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، أما يزيد فهو أبوه وقد استخلفه من بعده، وأما سليمان فقد رشّح أباه للخلافة بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز فهذان ليس في نفسه عليهما شيء، أما الآخران، وهما: الوليد وهشام فقد كان ناقماً عليهما؛ فالوليد لم يُعط أباه يزيد حقه رغم وصية عبد الملك له إذ قال له: لا تنسَ أبناء عاتكة؛ أي يزيد ومروان، فيرى الوليد بن يزيد أنِ عمه الوليد لم يفِ بالوصية، ولم يرعَ حقوق الأخوة، وأما هشام فكان يحمل على الوليد بن يزيد للهوه، واستهتاره، وتبذيره، وأقرانه، لذا فإن الوليد بن يزيد عندما آل إليه

---

(١) تاريخ الطبري.

أمر الخلافة نظر إلى أبناء عميه الوليد وهشام نظرة ازدراءٍ واحتقارٍ، ونالوا منه أذىً بقوة سيف السلطان، فقد ضرب سليمان بن هشام مائة سوطٍ، وحلق رأسه ولحيته، وغرّبه إلى عمان فحبسه بها، فلم يزل بها محبوساً حتى قُتل الوليد. وأخذ جاريةً كانت لآل الوليد، فكلّمه عمر بن الوليد فيها، فقال: لا أردّها، فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك. وحبس الأفقم يزيد بن هشام. وأراد البيعة لابنيه الحكم وعثمان فشاور سعيد بن بَيْهس بن صُهيب، فقال: لا تفعل، فإنهما غلامان لم يحتلما، ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فغضب وحبسه حتى مات في الحبس. وأراد خالد بن عبد الله القسريّ على البيعة لأبنيه فأبى، فقال له قوم من أهله: أرادك أمير المؤمنين على البيعة لأبنيه فأبيت، فقال: ويحكم! كيف أُبايع من لا أصلّي خلفه، ولا أقبل شهادته! قالوا: فالوليد تُقبل شهادته مع مجونه وفسقه، قال: أمر الوليد أمر غائب عني ولا أعلمه يقيناً، إنما هي أخبار الناس، فغضب الوليد على خالد، وسلّمه إلى يوسف بن عمر الثقفي، فقتله بالكوفة تحت العذاب.

وكان هشام قد استعمل الوليد بن القعقاع على

قنّسرين، وعبد الملك بن القعقاع على حمص، فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوطٍ، فلما قام الوليد بن يزيد هرب بنو القعقاع منه فبعث إليهم فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ـ وكان على قنّسرين ـ فعذّبهم فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع، واضطغن على الوليد بن يزيد آل الوليد بن عبد الملك وآل هشام بن عبد الملك وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله القسري. فأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة، فشاور عمرو بن يزيد الحكمي، فقال: لا يبايعك الناس على هذا، وشاور أخاك العباس بن الوليد، فإنه سيّد بني مروان، فإن يبايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيت إلا المضي على رأيك فأظهر أنَّ العباس قد بايعك. وكانت الشام تلك الأيام وبيّة، فخرجوا إلى البوادي، وكان يزيد بن الوليد متبدياً، وكان العباس بالقسطل بينهما أميال يسيرة.

أتى يزيد أخاه العباس، فأخبره وشاوره، وعاب الوليد، فقال له العباس: مهلاً يا يزيد، فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا. فرجع يزيد إلى منزله، ودبّ في الناس فبايعوه سرّاً، ودسّ الأحنف الكلبي

ويزيد بن عنبسة السكسكي وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم، فدعوا الناس سرّاً، ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن مولاهم، فشاوره في ذلك، وأخبره أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة، فزبره العباس، وقال: إن عدت لمثل هذه لأشدّنك وثاقاً، ولأحملنّك إلى أمير المؤمنين! فخرج يزيد وقطن، فأرسل العباس إلى قطن، فقال: ويحك يا قطن! أترى يزيد جادّاً، قال: جُعلت فداك، ما أظنّ ذاك، ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد، وما يسمع من الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونه ما قد ضاق به ذرعاً. قال: أما والله إني لأظنّه أشأم سخلة في بني مروان، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددت يزيد وثاقاً، وحملته إليه، فازجره عن أمره فإنه يسمع إليك. فقال يزيد لقطن: ما قال لك العباس حين رآك؟ فأخبره، فقال له: والله لا أكفّ.

وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوض الناس، فأتى الوليد بن يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك تبسط لساني بالأنس بك، وأكفّه بالهيبة لك، وأنا أسمع ما لا تسمع، وأخاف عليك ما أراك تأمن، أفأتكلم ناصحاً، أو أسكت مُطيعاً؟ قال: كل مقبول منك، ولله

فينا علم غيبٍ نحن صائرون إليه، ولو علم بنو مروان أنهم يوقدون على رضف[1] يلقونه في أجوافهم ما فعلوا، ونعود ونسمع منك.

وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يُؤلّب الناس، ويدعو إلى خلع الوليد، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس، ويكفّهم: إن الله قد جعل لكل أهل بيتٍ أركاناً يعتمدون عليها، ويتقون بها المخاوف، وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استنّوا أمراً ـ إن تمّت لهم رؤيتهم على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم ـ استفتحوا باباً لن يُغلقه الله عنهم حتى تُسفك دماء كثيرة منهم، وأنا مشتغل بأعظم ثغور المسلمين فُرَجاً، ولو جمعتني وإياهم لرمّمت فساد أمرهم بيدي ولساني، ولخفت الله في ترك ذلك، لعلمي ما في عواقب الفُرقة من فساد الدين والدنيا، وأنه لن ينتقل سلطان قومٍ قط إلّا بتشتيت كلمتهم، وأن كلمتهم إذا تشتّتت طمع فيهم عدوّهم، وأنت أقرب إليهم مني، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم، فإذا صرت إلى

---

(١) الرضف: الحجارة المحماة.

علم ذلك فتهدّدهم بإظهار أسرارهم، وخُذهم بلسانك، وخوّفهم العواقب، لعلّ الله أن يردّ إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم وعقولهم، فإنّ فيما سعوا فيه تغيرّ النعم وزوال الدولة، فعاجل الأمر وحبل الأُلفة مشدود، والناس سكون، والثغور محفوظة، فإن للجماعة دولةً من الفرقة وللسعة دافعاً من الفقر، وللعدد منتقصاً، ودُول الليالي مختلفة على أهل الدنيا، والتقلّب مع الزيادة والنقصان، وقد امتدت بنا ـ أهل البيت ـ متتابعات من النعم، قد يعيبها جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها؛ وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة. وقد أمّل القوم في الفتنة أملاً، لعل أنفسهم تهلك دون ما أمّلوا، ولكل أهل بيتٍ مشائيم يغيِّر الله النعمة بهم ـ فأعاذك الله من ذلك ـ فاجعلني على أمرهم من علمٍ. حفظ الله لك دينك، وأخرجك مما أدخلك فيه، وغلب لك نفسك على رشدك.

فأعظم سعيد ذلك، وبعث بكتابه إلى العباس بن الوليد، فدعا العباس يزيد فَعَذَلَه وتهدّده، فحذّره يزيد، وقال: يا أخي، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدوّنا أراد أن يُغري بيننا، وحلف له أنه لم يفعل. فصدّقه.

وقال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك: دخل أبي بشر بن الوليد على عمّي العباس، فكلّمه في خلع الوليد وبيعة يزيد، فكان العباس ينهاه، وأبي يرادّه، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي، ويردّ عليه قوله، وكنت أرى الصواب فيما يقول أبي، وكان الصواب فيما يقول عمي، فقال العباس: يا بني مروان، إني أظنّ الله قد أذن في هلاككم، وتمثّل قائلاً:

إني أعيذكم بالله من فتنٍ
مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملّت سياستكم
فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تلحِمُنَّ ذئاب الناس أنفسكم
إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرُنّ بأيديكم بطونكمُ
فثَمّ لا حسرة تغني ولا جزع

فلما اجتمع ليزيد أمره وهو مُتبدٍّ أقبل إلى دمشق، وبينه وبينها أربع ليالٍ، مُتنكّراً في سبعة نفرٍ على حميرٍ، فنزلوا بجرَود على مرحلةٍ من دمشق، فرمى يزيد بنفسه فنام، وقال القوم لمولىً لعبّاد بن زياد: أما عندك طعام فنشتريه؟ قال: أما لبيعٍ فلا، ولكن عندي

قراكم وما يسعكم. فأتاهم بدجاجٍ وفراخٍ وعسلٍ وسمنٍ، فطعموا. ثم سار فدخل دمشق ليلاً، وقد بايع ليزيد أكثر أهل دمشق سرّاً، وبايع أهل المِزّة غير معاوية بن مصاد الكلبي ـ وهو سيّد أهل المِزّة ـ فمضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً في نفرٍ من أصحابه ـ وبين دمشق والمِزّة ميل أو أكثر ـ فأصابهم مطر شديد، فأتوا منزل معاوية بن مصاد، فضربوا بابه ففتح لهم فدخلوا، فقال ليزيد: الفراش أصلحك الله، قال: إن في رجلي طيناً، وأكره أن أُفسد بساطك، فقال: الذي تريدنا عليه أفسدُ، فكلّمه يزيد فبايعه معاوية، ورجع يزيد إلى دمشق(١).

وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء، فخرج فنزل قطنا، واستخلف ابنه على دمشق، وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي، فأجمع يزيد على الظهور، وأرسل إلى كل من يحذره فأُخِذ، وجاء أهل المِزّة فدخلوا من باب الجابية، وهم حوالي ألف وخمسمائة رجلٍ، وجاء السكاسك في نحو ثلاثمائة فدخلوا من

---

(١) تاريخ الطبري.

باب شرقي حتى دخلوا المسجد، ثم أقبل يعقوب بن عمير بن هانئ العبسي في أهل داريا فدخلوا دمشق من الباب الصغير، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دوما وحرستا، فدخلوا من باب توما، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دير المُرّان والأرزة وسطرا فدخلوا من باب الفراديس، وأقبل النضر بن الجرشي في أهل جَرَش وأهل الحديثة ودير زكّا فدخلوا من باب شرقي، وأقبل رِبْعيّ بن هاشم الحارثيّ في الجماعة من بني عُذْرة وسلامان، فدخلوا من باب توما، ودخلت جهينة ومن والاهم مع طلحة بن سعيد. وتمكّن يزيد بن الوليد في دمشق.

وجّه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارسٍ إلى قطنا ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، وقد تحصّن في قصره، فأعطاه الأمان فخرج إليه فدخل عبد الرحمن القصر.

خرج الوليد بن يزيد إلى حصن البخراء على أطراف الحجاز من جهة الشمال. وندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الوليد، والتقى مع أخيه العباس فاستطاع بالحيلة أن يضمّه إليهم وبايع أخاه يزيد. عبّأ عبد العزيز جنده فكان على

الميمنة عمرو بن حوى السكسكي، وعلى المقدمة منصور بن جهور، وعلى الرجالة عمارة بن أبي كلثم الأزدي. وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فقتله قطريّ مولى الوليد، والتقى الطرفان وانكشف أصحاب يزيد، فترجّل عبد العزيز فكرّ أصحابه، ونالوا من خصمهم.

وعاد الفريقان للنزال، وتفرّق الناس عن الوليد بن يزيد فدخل القصر، وأغلق الباب، وأحاط عبد العزيز بالقصر، فأخذ الوليد مصحفاً وأخذ يقرأ، وقال: يوم كيوم عثمان، فعلوْا الحائط ونزلوا إليه وقتلوه يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ستٍ وعشرين ومائة. فكانت خلافته سنةً وشهرين واثنين وعشرين يوماً.

وحجّ بالناس سنة خمسٍ وعشرين ومائة أمير الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي.

الفصل الثالث

الجهاد أيّام الوليد بن يزيد

لم يحمل الغزو في هذه المرحلة معنى الجهاد بل كان غزو غاراتٍ، وتأديباً لأولئك الذين ينقضون العهد، وتثبيتاً لقوة الدولة وهيبتها، لذا كانت الثغور مليئةً بالمرابطين، وأعداء الإسلام يغتنمون شُغل الخلافة بالخلافات المحلية، أو ظهور بعض علامات الضعف عليها - حسب تقديرهم - فيقومون بالغارات عليها أو محاولة اقتطاع جزءٍ منها، ولا بدّ في هذه الحالة من تلقين الأعداء ضربة تُعيدهم إلى صوابهم، وتُوقفهم عند حدّهم، وتُعيد للخلافة الهيبة. وإن كان الغزو يختلف بين جبهةٍ وأخرى.

أخذ الروم يُحرّضون سكان جزيرة قبرص للتحرّك ضد المسلمين. فبعث الوليد بن يزيد أخاه الغمر بن يزيد فغزا أرض الروم وأدّبهم حتى لا يتدخلوا في شؤون غيرهم، وفي الوقت نفسه أمّر على الجيش في

البحر «الأسود بن بلال المحاربي» وأمره أن يسير إلى قبرص، وأن يُجبر المشاغبين على الخضوع والخنوع، وأن يُخيّرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا، وإن رغبوا فإلى أرض الروم، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشام، واختار آخرون أرض الروم، فانتقلوا إليها.

وكان مروان بن محمد بن مروان أمير الجزيرة وأرمينية، وهو في حالة استنفارٍ دائمٍ حيث كان الترك من جهةٍ والروم من جهةٍ أخرى يُحرّضون الأرمن على الانتفاض على المسلمين، وما يخنع الأرمن في مكانٍ حتى يثوروا في مكانٍ آخر، وما جعلهم على هذه الحالة من التمرّد ونقض العهد إلا لعدم تطبيق الإسلام، فلو علموا أنهم إذا نقضوا العهد وتحرّكوا قُتلوا لركنوا إلى الهدوء وتقيّدوا بشروط أهل الذمة، ولعاشت المنطقة بطمأنينةٍ.

أما الجبهة الشرقية فعادة أهلها نقض العهود، والانقضاض على المسلمين ليثأروا منهم، أو ليتحرّروا مما يدفعونه تحت اسم «الخراج» سواء أكان من المال أم من رؤوس السبي، غير أنهم لم يلبثوا أن يُهزموا فيزيد ما يُفرض عليهم، وفي الوقت نفسه يزيد الحقد والرغبة في الثأر. غير أن أعداداً من سكان المنطقة

يريدون الفتنة، فقد أظهروا الإسلام هم أو أسلافهم، ودخلوا بين صفوف المسلمين، وعُدّوا منهم، غير أنهم لم تُؤمن قلوبهم، وإنما فعلوا ذلك ليضمنوا سلامتهم، وليتمكّنوا من إحداث الفتنة والتهديم من الداخل، وليتحرّكوا في تياراتٍ مختلفةٍ حسبما يرون فيه المصلحة أو المخطط، بإحداث بدعٍ أو الدعوة لسلطان من يرون فيه فتناً وتغييراً. فلما ظهرت الفتنة في صفوف البيت الأموي أظهروا الهدوء لتلتهب الخلافات بين الأمويين، ولكنهم في الوقت نفسه عملوا ضمن مخطط لإذكاء روح العصبية بين القيسية واليمانية، واستغلّوا مقتل خالد بن عبد الله القسريّ فأثاروا اليمانية فاشتعلت نار العصبية بين العامة فهم كالهشيم الجاف ما أسرع إضرام النار فيه، فالتهبت المنطقة.

ويضاف إلى هذا أن الوليد بن يزيد كان مشغولاً بلهوه، منصرفاً إلى لذّاته، يقضي أكثر وقته مع أقرانه، فلا يُبالي بالجهاد، ولا يُفكّر بالغزو، يكفيه ما هو فيه إلّا إذا أخذته الحمية، أو شجّعه ناصح كما حدث في إرسال أخيه لغزو الروم، وتسيير الجيش إلى جزيرة قبرص.

كما أن مدة خلافته كانت قصيرة لا تزيد على السنة كثيراً.

الفصل الرابع

شخصية الوليد بن يزيد

كان من فتيان بني أُميّة، وظرفائهم، وشجعانهم، وأجوادهم، وأشدّائهم[1]، شاعراً، منهمكاً في اللهو، منصرفاً إلى اللذّات. ويُكنى أبا العباس.

وليس معنى ذلك أن يكون زنديقاً كما وصفه بعضهم، صحيح أنه كان غير دقيق الالتزام في عبادته، غير مقتصرٍ عليها، إذ كانت له شخصيتان متناقضتان، فهو في لهوه ولذّته فإذا حانت الصلاة ترك ما كان عليه واتَّجه إلى عبادته.

قال شبيب بن شبّة: كنا جلوساً عند المهدي فذكروا الوليد، فقال المهدي: كان زنديقاً، فقام أبو علاثة الفقيه، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عزّ وجلّ

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

أعدل من أن يُولي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءةٍ في طهارته وصلاته، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي عليه المطائب المصبّغة، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويُؤتى بثيابٍ نظافٍ بيضٍ فيلبسها، ويصلي فيها، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه، فهذا فعال من لا يؤمن بالله؟ فقال المهدي: بارك الله عليك يا أبا علاثة[1].

غير أن أعداء الإسلام ممن يعيش بين المسلمين، ويدّعون الانتماء إلى دينهم، وجد هؤلاء الأعداء ثغرةً واضحةً الوضوح كله في حياة هذا الخليفة المستهتر في بعض جوانب حياته، فركّزوا عليها، وغالوا بالافتراءات حتى تكلّموا بما يخرج عن حدود العقل، وبالغوا في وصف الفساد، وذلك لتسقط هيبة الخلفاء في نظر المسلمين وغيرهم، وليكون تمثيلهم للإسلام مجرد أقوالٍ وادعاءات.

ولما كانت هذه الثغرة من السوء لا ينكرها أحد، لذا فإن العامة وأهل الأهواء يُصدّقون الطعن في

---

(١) المصدر السابق نفسه.

العهد كله، وهذا ما يريده الأعداء.

• وأم الوليد بن يزيد هي أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأم عامر بن كريز البيضاء بنت عبد المطلب، فلذلك يقول الوليد:

نبي الهدى خالي ومن يك خاله
نبي الهدى يقهر به من يفاخره

• قيل: إن يزيد بن منبه مولى ثقيف مدح الوليد وهنّأه بالخلافة فأمر أن تُعدّ الأبيات ويعطى بكل بيتٍ ألف درهم، فعُدّت فكانت خمسين بيتاً فأُعطي خمسين ألف درهم، وهو أول خليفةٍ عدّ الشعر، وأعطى بكل بيتٍ ألف درهم.

• لما مات مسلمة بن عبد الملك، قعد هشامٌ للعزاء، فأتاه الوليد وهو نشوان يجرّ مطرف خزٍّ، فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين إن عقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى، وعلى أثر من سلف يمضي

من خلف، فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى، فأعرض هشام ولم يحر جواباً وسكت القوم فلم ينطقوا[1].

• قال حماد الراوية: كنت عند الوليد بن يزيد، فقال منجمان له: نظرنا فوجدناك تملك سبع سنين، فقلت: كذباً، نحن أعلم بالآثار، بل تملك أربعين سنةً، فأطرق ثم قال: لا ما قالا يكسرني، ولا ما قلت يغرّني، والله لأجبين المال من حلّه جباية من يعيش الأبد، ولأصرفنه في حقه صرف من يموت الغد[2].

ومن هذا يظهر أن هناك بعض جوانب الخير عند الوليد بن يزيد.

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي.

الفصل الخامس

أسرة الوليد بن يزيد

لم يُهتم بزوجات الوليد فلا تذكر زوجة واحدة له، وإنما كان التركيز على جواريه فذُكر منهن:

١ ـ أنيسة بنت معبد المغني.

٢ ـ شهدة.

٣ ـ نوار.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على الوضع والافتراء، وخاصةً إذا عرفنا أن هذه الجواري إنما ذكرهن شخص واحد، له رأيه في بني أمية وذاك هو أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني.

وللوليد بن يزيد من الأولاد.

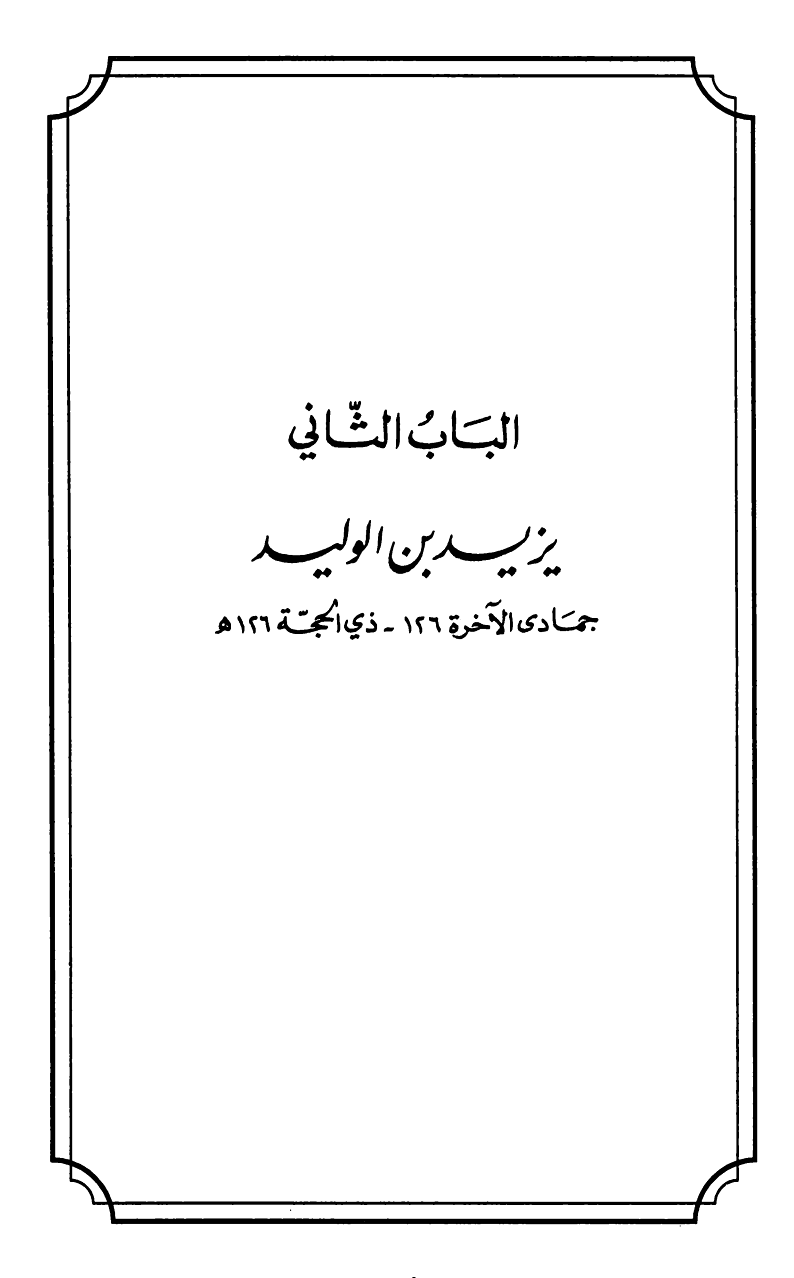
عثمان: وقد ذُبح في السجن.

الحكم: وقد ذُبح في السجن.

يزيد.

العباس.

كما له عدة بناتٍ.



البَابُ الثّاني

يزيد بن الوليد

جمادى الآخرة ١٢٦ - ذي الحجة ١٢٦ هـ

خرج يزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد لله ـ حسب زعمه ـ بعد أن غالى الوليد في لهوه وبالغ في استهتاره فنتج عن هذا الخروج اضطراب أمر بني مروان، وانفراط عقدهم، وكان من الأفضل جمع سادة بني مروان والعمل على مناصحة الوليد وردعه عن غيّه، وبهذا الاضطراب كانت الفرصة مواتيةً للخصوم كي يتحرّكوا، وهؤلاء الأعداء لا يُعرف لهم هدف سوى ضرب الإسلام، وإن كان لهم رأس يستظلون به، ويتحرّكون من خلفه.

أخذ يزيد بن الوليد البيعة لنفسه من الناقمين على الوليد بن يزيد، ومن الذين أساء لهم من بني مروان وخاصةً أبناء هشام بن عبد الملك ثم أبناء الوليد بن عبد الملك. وانقسم بنو مروان والتقى الجمعان، وقُتل الوليد، وبويع يزيد.

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيّه محمد ﷺ: أيها الناس، إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا

حرصاً على الدنيا، ولا رغبةً في الملك. وما إطراء نفسي، إني ظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ورسوله ودينه، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيّه ﷺ، لما هدّمت معالم الهدى، وأُطفئ نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد، المستحل لكل حُرمةٍ، والراكب لكل بدعةٍ، مع أنه والله ما كان يُصدّق بالكتاب، ولا يُؤمن بيوم الحساب، وإنه لابن عمي في الحسب، وكفيي في النسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره، وسألته ألا يكلني إلى نفسي، ودعوت ذلك من أجابني من أهل ولايتي، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي.

أيها الناس، إنّ لكم عليّ ألّا أضع حجراً على حجرٍ، ولا لبنةً على لبنةٍ، ولا أكري نهراً، ولا أكثر مالاً، ولا أعطيه زوجةً ولا ولداً، ولا أنقل مالاً من بلدةٍ إلى بلدةٍ حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يعينهم، فإن فَضَلَ فَضْلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه، ولا أُجَمّركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما

يُجليهم عن بلادهم، ويقطع نسلهم، وإن لكم أُعطياتكم عندي في كل سنةٍ وأرزاقكم في كل شهرٍ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن وفّيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة، وإن أنا لم أفِ فلكم أن تخلعوني، إلّا أن تستتيبوني، فإن تُبْتُ قَبِلْتُم مني، فإن علمتم أحداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته.

أيها الناس، إنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، ولا وفاء له بنقض عهد، إنما الطاعة طاعة الله، فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية، فهو أهل أن يُعصى ويقتل. أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم[1].

ثم دعا إلى تجديد البيعة له.

ولكن لم يلبث يزيد بن الوليد أن أنقص ما كان قد زاده الوليد بن يزيد من أُعطيات الناس حتى عُرف يزيد بعد ذلك بالناقص، وكان مروان بن محمد أول من

---

(١) تاريخ الطبري.

أطلق عليه هذا الاسم. ولا شك أن الرعية قد تضايقت من هذا ما دام يتعلّق بمعاشها، وربما كان في نفسها شيء من الخليفة الجديد يزيد، وإن لم يَتكلّم بهذا أحد.

واضطراب أمر بني مروان فبعضهم أراد أن ينتقم مما ناله أيام الوليد بن يزيد على حين أن بعضهم الآخر قد رأى العروة تُفتق فرغب أن تعود الأمور إلى حالها الطبيعية، ولن يكون هذا إلّا بالضرب على يد يزيد بن الوليد الذي بدأ الفتق.

١ ـ كان سليمان بن هشام بن عبد الملك مسجوناً بالبلقاء فلما قُتل الوليد خرج سليمان من السجن، وأخذ الأموال التي كانت بالبلقاء، وجاء إلى دمشق، وبدأ يتكلّم عن الوليد ويعيبه.

٢ ـ كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص، وكان من سادة بني مروان نُبلاً وكرماً وعقلاً، وجمالاً، فلما قتل الوليد وبلغ أهل حمص قتله، أغلقوا أبواب مدينتهم، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد، وسألوا عن قتله، فقال بعض من حضرهم: ما زلنا منتصفين من القوم حتى جاء العباس بن الوليد، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج.

فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانتهبوها، وسلبوا حرمه، وأخذوا بنيه فحبسوهم وطلبوه. فخرج إلى يزيد بن الوليد. وكاتبوا الأجناد، ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد، فأجابوهم. وكتب أهل حمص بينهم كتاباً ألا يدخلوا في طاعة يزيد، وإن كان وليّا عهد الوليد حيّين قاموا بالبيعة لهما وإلا جعلوها لخير من يعلمون، على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم، ويعطيهم للذرية، وأمّروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحمص بدار الإمارة، فلما قرأه قال: هذا كتاب حضره من الله حاضر، وتابعهم على ما أرادوا.

فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم وجّه إليهم رسلاً فيهم يعقوب بن هانئ، وكتب إليهم: إنه ليس يدعو إلى نفسه، ولكنه يدعوهم إلى الشورى. فقال عمرو بن قيس السكوني: رضينا بولي عهدنا ـ يعني ابن الوليد بن يزيد ـ فأخذ يعقوب بن عميرو بلحيته، فقال: أيها العَثَمة[1]، إنك قد فيّلت[2]، وذهب عقلك، إن الذي تعني لو كان

---

(١) العثمة: الهرم.
(٢) فيّلت: لم تُصِبْ في رأيك.

يتيماً في حجرك لا يحلّ لك أن تدفع إليه ماله، فكيف أمر الأمة، فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم.

وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حصين، وليس لمروان بن عبد الله من أمرهم شيء، وكان معهم السمط بن ثابت، وليس الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً، وكان معهم أبو محمد السفياني فقال لهم: لو قد أتيت دمشق، ونظر إليّ أهلها لم يخالفوني. فوجّه يزيد بن الوليد مسرور بن الوليد والوليد بن روح في جمعٍ كبيرٍ، فنزلوا حُوّارين، أكثرهم بنو عامر من كلب. ثم قدم على يزيد ابن عمه سليمان بن هشام فأكرمه يزيد، وتزوّج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك، وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم، ووجّهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن روح، وأمرهما بالسمع والطاعة له. وأقبل أهل حمص فنزلوا قريةً لخالد بن يزيد بن معاوية.

قام مروان بن عبد الله فقال: يا هؤلاء، إنكم خرجتم لجهاد عدوّكم والطلب بدم خليفتكم، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يُعظِم الله به أجركم، ويحسن عليه ثوابكم، وقد نجم لكم منهم قرن، وشال إليكم منهم

عنق، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده، وكنتم عليه أحرى، وكانوا عليكم أهون، ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم. فقال السمط: هذا والله العدو القريب الدار يريد أن ينقض جماعتكم، وهو ممايل للقدرية[١]. فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه، ورفعوا رأسيهما للناس، وإنما أراد السمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد، فلما قُتل مروان بن عبد الله ولّوا عليهم أبا محمد السفياني،

---

(١) القَدَرِيّة: هم الذين يقولون: إن الله لم يُقدّر الأشياء، ويعلمها بعد وقوعها. والعبد يقوم بالأعمال، ويُحاسَب عليها.

وأول من قال بهذا القول الشنيع معبد بن عبد الله بن عُليم الجهني، قال ذلك بالبصرة، وكان سمع الحديث من عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، ومن عمران بن حصين، وحضر يوم التحكيم، وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر مذهبه، وعنه أخذ غيلان بن مسلم.

وخرج مع ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف فجُرح فأقام بمكة فقتله الحجاج صبراً، بعد أن عذّبه، وقيل: بل قتله عبد الملك بن مروان لقوله. وكان قتله سنة ثمانين.

وأخذ معبد قوله في القَدَر من رجل من أهل العراق يقال له (سوسن) كان نصرانياً، فأظهر الإسلام، ثم ارتدّ.

والقول الصحيح أن الله قدّر الأشياء من القدم وعلم أنها ستقع حسبما قدّر.

وأرسلوا إلى سليمان بن هشام: إنا آتوك فأقم بمكانك، فأقام. فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار، ومضوا إلى دمشق، وبلغ سليمان مضيّهم، فخرج مُغذّاً، فلقيهم بالسليمانية ـ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلاً ـ.

لما بلغ يزيد أمر أهل حمص دعا عبد العزيز بن الحجاج فوجّهه في ثلاثة آلافٍ، وأمره أن يثبت على ثنية العُقاب، ودعا هشام بن مصاد، فوجّهه في ألف وخمسمائةٍ، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة، وأمرهم أن يُمدّ بعضهم بعضاً.

قال يزيد بن مصاد: كنت في عسكر سليمان، فلحقنا أهل حمص وقد نزلوا السليمانية فجعلوا الزيتون على أيمانهم، والجبل على شمائلهم، والجباب خلفهم وليس عليهم مأتىً إلّا من وجهٍ واحدٍ، وقد نزلوا أول الليل، فأراحوا دوابّهم، وخرجنا نسري ليلتنا كلها، حتى دفعنا إليهم، فلما متع النهار واشتد الحرّ، ودوابنا قد كلّت، وثقل علينا الحديد، دنوت من مسرور بن الوليد، فقلت له ـ وسليمان يسمع كلامي ـ: أنشدك الله يا أبا سعيد أن لا يقدم الأمير جنده إلى القتال في هذه الحال، فأقبل سليمان فقال: يا غلام، اصبر نفسك،

فوالله لا أنزل حتى يقضي الله بيني وبينهم ما هو قاضٍ. فتقدّم وعلى ميمنته الطفيل بن حارثة الكلبي، وعلى ميسرته الطفيل بن زرارة الحبشيّ، فحملوا علينا حملةً فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غلوتين، وسليمان في القلب لم يزل في مكانه، ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردّوهم إلى موضعهم فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً، فقتل منهم زهاء مائتي رجلٍ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلاً، وخرج أبو الهلباء البهراني ـ وكان فارس أهل حمص ـ فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه حيّة بن سلامة الكلبي فطعنه طعنةً أذراه عن فرسه، وشدّ عليه أبو جعدة (مولىً لقريش من أهل دمشق) فقتله، وخرج ثبيت بن يزيد البهراني فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه إيراك الصُّغدي، من أبناء ملوك الصغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام ـ وكان ثبيت قصيراً، وكان إيراك جسيماً ـ فلما رآه ثبيت قد أقبل نحوه استطرده، فوقف إيراك فأثبت عضلة ساقه إلى لبده. قال: فبيناهم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنيّة العُقاب فشدّ عليهم حتى دخل عسكرهم فقتل ونفذ إلينا.

قال سليمان بن زياد الغساني: كنت مع عبد العزيز بن الحجاج، فلما عاين عسكر أهل حمص، قال لأصحابه: موعدكم التل الذي في وسط عسكرهم، والله لا يتخلّف منكم أحد إلّا ضربت عنقه. ثم قال لصاحب لوائه: تقدّم، ثم حمل وحملنا معه، فما عرض لنا أحد إلا قُتل حتى صرنا على التل، فتصدّع عسكرهم، فكانت هزيمتهم، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ: الله الله في قومك! فكفّ الناس، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز، وكاد يقع الشرّ بين الذكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب، فكفّوا عنهم، على أن يبايعوا ليزيد بن الوليد، وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفياني ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا، فمرّ بهما على الطفيل بن حارثة، فصاحا به: يا خالاه ننشدك الله والرحم، فمضى معهما إلى سليمان فحبسهما، فخاف بنو عامر أن يقتلهما، فجاءت جماعة منهم، فكانت معهما في الفُسطاط، ثم وجههما إلى يزيد بن الوليد، فحبسهما في الخضراء مع ابني الوليد بن يزيد، وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان خال عثمان بن الوليد معهم، ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق، ونزلا بعذراء. واجتمع أمر أهل دمشق،

وبايعوا يزيد بن الوليد، وخرجوا إلى دمشق وحمص وأعطاهم يزيد العطاء، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حُوَيّ والصقر بن صفوان، واستعمل معاوية بن يزيد بن الحصين من أهل حمص، وأقام الباقون بدمشق، ثم ساروا إلى أهل فلسطين والأردن وقد قتل من أهل حمص يومئذٍ ثلاثمائة رجلٍ.

٣ ـ قال رجاء بن روح بن سلامة بن روح بن زنباع: كان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين، وكان حسن السيرة، وكان يزيد بن سليمان سيّد ولد أبيه، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين، فكان أهل فلسطين يحبّونهم لجوارهم، فلما أتى قتل الوليد ـ ورأس فلسطين يومئذٍ سعيد بن روح بن زنباع ـ كتب إلى يزيد بن سليمان: إن الخليفة قد قُتل فاقدم علينا نُولّك أمرنا، فجمع له سعيد قومه، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك ـ وهو يومئذٍ نازل بالسبع ـ: ارتحل عنا، فإن الأمر قد اضطرب، وقد ولّينا أمرنا رجلاً قد رضينا أمره، فخرج إلى يزيد بن الوليد، فدعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد، وبلغ أهل الأردن أمرهم فولّوا عليهم محمد بن

عبد الملك ـ وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن روح وضِبعان بن روح ـ وبلغ يزيد أمرهم، فوجّه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني.

وقال محمد بن راشد الخزاعي: إن أهل دمشق كانوا أربعةً وثمانين ألفاً، وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضِبعان وسعيدٍ ابني روح وإلى الحكم وراشد ابني جِرو من بلقين، فأعدهم وأُمنّيهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد فأجابوا.

وقال عثمان بن داود الخولاني: وجّهني يزيد بن الوليد ومعي حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان يدعوهما إلى طاعته، ويعدهما ويُمنّيهما، فبدأنا بأهل الأردن ومحمد بن عبد الملك، فاجتمع إليه جماعة منهم، فكلّمته فقال بعضهم: أصلح الله الأمير! اقتل هذا القدري الخبيث، فكفّهم عني الحكم بن جِرو القيني. فأُقيمت الصلاة فخلوت به، فقلت: إني رسول يزيد إليك، والله ما تركت ورائي رايةً تعقد إلا على رأس رجلٍ من قومك، ولا درهم يخرج من بيت المال إلا في يد رجلٍ منهم، وهو يحمل لك كذا وكذا. قال: أنت بذاك؟ قلت:

نعم. ثم خرجت فأتيت ضِبعان بن روح، فقلت له مثل ذلك، وقلت له: إنه يُولّيك فلسطين ما بقي، فأجابني فانصرفت، فما أصبحت حتى رحل بأهل فلسطين.

وقال محمد بن سعيد بن حسان الأردني قال: كنت عيناً ليزيد بن الوليد بالأردن، فلما اجتمع له ما يريد ولّاني خراج الأردن، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيت سليمان بن هشام فسألته أن يُوجّه معي أحداً، فخرجت إلى يزيد بن الوليد، فأخبرته الخبر، فكتب إلى سليمان كتاباً بخطه، يأمره أن يوجّه معي ما أردت، فأتيت به سليمان، فوجّه معي مسلم بن ذَكوان في خمسة آلافٍ، فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة[1]، فتفرّقوا في القرى، وسرت أنا في طائفة منهم نحو طبرية، وكتبوا إلى عسكرهم، فقال أهل طبرية: علام نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهالينا، ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان، ومحمد بن عبد الملك فانتهبوهما وأخذوا دوابهما وسلاحهما، ولحقوا بقراهم ومنازلهم، فلما تفرّق أهل فلسطين والأردن، خرج

---

(١) البطيحة: الأراضي على ضفاف بحيرة طبرية من الجهة الشمالية الغربية.

سليمان حتى أتى الصنبرة[1]، وأتاه أهل الأردن، فبايعوا ليزيد بن الوليد، فلما كان يوم الجمعة وجّه سليمان إلى طبرية، وركب مركباً في البحيرة، فجعل يسايرهم حتى أتى طبرية، فصلّى بهم الجمعة، وبايع من حضر ثم انصرف إلى عسكره.

قال عثمان بن داود: لما نزل سليمان الصنبرة أرسلني إلى يزيد بن الوليد، وقال لي: أعلمه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين، وقد كفى الله مؤونتهم، وقد أزمعت على أن أولّي ابن سراقة فلسطين، والأسود بن بلال المحاربي الأردن. فأتيت يزيد فقلت له ما أمرني به سليمان. فقال: أخبرني كيف قلت لضِبعان بن روح؟ فأخبرته، قال: فما صنع؟ قلت: ارتحل بأهل فلسطين، وارتحل ابن جِرو بأهل الأردن قبل أن يصبحا. قال: فليسا بأحق بالوفاء منا، ارجع فمره ألّا ينصرف حتى ينزل الرملة فيبايع أهلها، وقد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن، وضِبعان بن روح على فلسطين، ومسرور بن الوليد على قنَّسرين، وابن الحصين على حمص.

---

(١) . الصنبرة: موقع مقابل عقبة أفيق على ثلاثة أميال من بحيرة طبرية.

٤ ـ مخالفة مروان بن محمد بن مروان: كتب مروان بن محمد إلى الغمر بن يزيد، أخي الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد: أما بعد، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوّة رسله، وإقامة شرائع دينه، أكرمهم الله بما قلّدهم، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم، والحيْن على من ناوأهم فابتغى غير سبيلهم، فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها، يقوم بحقها ناهض بعد ناهضٍ، بأنصارٍ لها من المسلمين. وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعةً، وأذبّه عن حرمه، وأوفاه بعهده، وأشدّه نكايةً في مارقٍ مخالفٍ ناكثٍ ناكبٍ عن الحق، فاستدرت نعمة الله عليهم. قد عمر بهم الإسلام، وكُبت بهم الشرك وأهله، وقد نكثوا أمر الله، وحاولوا نكث العهود، وقام بذلك من أشعل ضرامها، وإن كانت القلوب عنه نافرةً، والمطلوبون بدم الخليفة ولاية[1] من بني أمية، فإن دمه غير ضائعٍ، وإن سكنت بهم الفتنة، والتأمت الأمور، فأمر أراده الله لا مردّ له.

فاكتب بحالك فيما أبرموا وما ترى، فإني مطرق إلى أن أرى غِيَراً[2] فأسطو بانتقام، وأنتقم لدين الله،

---

(١) ولاية: أمراء بني أمية.

(٢) غِيَر الدهر: حوادثه المغيرة.

المنبوذة فرائضه، المتروكة مجانة، ومعي قوم أسكن الله طاعتي قلوبهم، أهل إقدامٍ إلى ما قدمت بهم عليه، ولهم نظراء صدورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً، والنقمة دولة تأتي من الله، ووقت مؤجل، ولم أشبه محمداً ولا مروان - غير أن رأيت غِيَراً - إن لم أشمر للقدرية إزاري، وأضربهم بسيفي جارحاً وطاعناً، يرمي قضاء الله بي في ذلك حيث أخذ، أو يرمي بهم في عقوبه الله حيث بلغ منهم فيها رضاه، وما إطراق إلا لما أنتظر مما يأتيني عنك، فلا تهن عن ثأرك بأخيك، فإن الله جارك وكافيك، وكفى بالله طالباً ونصيراً[1].

هذه ديار الشام قاعدة ملك بني أمية قد اضطرب أمرهم فيها، وإذا بدا الوضع أنه قد استقرّ، وهدأت الحال إلا أن النفوس مشحونة، بعضها يتحفّز وبعضها على حذرٍ وكل يخشى المفاجآت. والولايات الثانية تنظر إلى قاعدة الخلافة، والعصبيات تخشى بعضها من بعضٍ.

الولايات:

لما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام

---

(١) تاريخ الطبري.

ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبي، فقال له عبد العزيز: لو كان معي جند لقبلت، فتركه وولّاها منصور بن جمهور ـ وكان منصور أعرابياً جافياً غيلانياً[1]، ولم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية، وحميةً لقتل خالد بن عبد الله القسري، فشهد لذلك قتل الوليد، فقال يزيد له لما ولّاه العراق: قد ولّيتك العراق فسر إليه، واتق الله، واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه

---

(١) غيلانياً: نسبةً لابن غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان: كاتب من البلغاء، تنسب إليه الفرقة الغيلانية من القدرية، وهو ثاني من تكلم بالقدر ودعا إلى ما يؤمن به، كان يقول بالقدر خيره وشرّه من العبد.

أظهر ما ابتدع أيام عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فدعاه، وناظره، ودحض حجته، ثم استتابه، فقال غيلان: لقد كنت ضالاً فهديتني، وقال عمر: اللهم إن كان صادقاً، وإلا فاصلبه، واقطع يديه ورجليه، ثم قال: أمِّن يا غيلان، فأمّن غيلان على دعائه.

وفي أيام هشام بن عبد الملك عاد غيلان إلى القول الذي أعلن توبته منه، ودعا إليه، ودعاه هشام بن عبد الملك كما دعا الأوزاعي، فناظره الأوزاعي، وحجّه، وانقطع ما عند غيلان ولكن لم يتب، فأفتى الأوزاعي بقتله.

أمر هشام بقتله فأُخذ وقُطعت أربعته، وصُلب بدمشق، فأصابته دعوة عمر بن عبد العزيز.

ولما أظهر من الجور، فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه. فدخل على يزيد بن الوليد بن يزيد بن حجرة الغساني ـ وكان دَيِّناً فاضلاً ذا قدرٍ في أهل الشام، قد قاتل الوليد ديانةً ـ فقال: يا أمير المؤمنين، أولّيت منصوراً العراق؟ قال: نعم، لبلائه، وحسن معونته، قال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك في أعرابيته وجفائه في الدين. قال: فإذا لم أُولّ منصوراً في حسن معاونته فمن أُولّي! قال: تولّي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات، والعلم بالأحكام والحدود.

ولما بلغ يوسف بن عمر أمير العراق قتل الوليد بن يزيد، جعل يعمد إلى من بحضرته من اليمانية فيلقيهم في السجون، ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضرية، فيقول له: ما عندك إن اضطرب حبل أو انفتق فتق؟ فيقول: أنا رجل من أهل الشام، أبايع من بايعوا، وأفعل ما فعلوا. فلم ير عندهم ما يحبّ فأطلق من في السجون من اليمانية. وجعل يتقصّى الأخبار، وكان هناك من يكتب له من بعض معارفه في دمشق، ووصلت إليه الأنباء أن منصور بن جمهور قادم إلى العراق والياً.

جاء منصور بن جمهور إلى العراق، واختفى

يوسف بن عمر، وتمكن من التسلّل والهرب إلى البلقاء حيث يقيم أهله. ووصلت الأخبار إلى يزيد بن الوليد أن يوسف بن عمر قد هرب، فبعث من يبحث عنه حتى قُبض عليه، وحمل إلى دمشق، وسجن مع ولدي الوليد بن يزيد.

بعث منصور بن جمهور أمير العراق وسائر المشرق أخاه منظور بن جمهور إلى خراسان ولكن نصر بن سيّار أمير خراسان رفض تسليم عمله لمنظور.

ثم عاد يزيد بن الوليد فعزل منصور بن جمهور عن العراق، ولم تكمل مدة ولايته ثلاثة أشهر، وولّى مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان. فسار عبد الله إلى العراق وبين يديه رسلاً وكتباً إلى قادة الشام الذين بالعراق إذ خاف ألا يسلّم له منصور بن جمهور العمل، فانقاد له كلهم، وسلّم له منصور بن جمهور وانصرف إلى الشام. ففرّق عبد الله بن عمر عمّاله في الأعمال، وأعطى الناس أرزاقهم وأُعطياتهم، فلم يرق هذا العمل لقادة الشام وكاد أن يقع الخلاف.

كتب عبد الله بن عمر إلى نصر بن سيّار بعهده على خراسان، وهذا ما أثار رؤوس العصبية اليمانية فأخذت الجاهلية تتحرّك، فظهر الكرماني ـ جُديع بن علي بن شبيب ـ وعُرف بـ (الكرماني) لأنه ولد

بـ (كرمان)، وكان في سجن نصر بن سيّار ثم خرج. فقالت المضرية لنصر بن سيار: الكرماني يُفسد عليك فأرسل إليه فاقتله أو فاحبسه. قال: لا، بل أتألفه.

وبلغ نصراً أن الكرماني يقول: كانت غايتي في طاعة بني مروان أن يقلّد ولدي السيوف فأطلب بثأر بني المهلب، مع ما لقينا من نصرٍ وجفائه وطول حرمانه ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد بن عبد الله القسريّ إليه.

وأخذ الكرماني يُظهر المخالفة، ويجمع الرجال حوله، فما كان من نصر بن سيّار إلا أن سجنه، وتمكّن أعوان الكرماني من حفر سربٍ إلى السجن، فهرب صاحبهم منه.

وبايعت الأزد عبد الملك بن حرملة على كتاب الله عزّ وجلّ ليلة خرج الكرماني. واجتمع إلى الكرماني عدد كبير. وعسكر نصر بن سيّار أمام مرو الروذ بعد أن استخلف عصمة بن عبد الله الأسدي، ووجّه نصر إلى الكرماني سلْم بن أحوز، فسفر الناس بين نصر والكرماني، وسألوا نصراً أن يُؤمنه ولا يحبسه، ويضمن عنه قومه ألا يخالفه. فوضع يده في يد نصر، فأمره بلزوم بيته، ثم عنّ لنصر شيء، فخرج إلى قريةٍ له.

فخرج نصر فعسكر بالقناطر، فأتاه القاسم بن نجيب، فكلمه فيه فآمنه، وقال له: إن شئت خرج لك عن خراسان، وإن شئت أقام في داره ـ وكان رأي نصر إخراجه ـ فقاله له سلْم: إن أخرجت نوّهت باسمه وذكره، وقال الناس: أخرجه لأنه هابه، فقال نصر: إن الذي أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم، والرجل إذا نفي عن بلده صغُر أمره. فأبوا عليه. فكفّ عنه، وأعطى من كان معه عشرةً عشرةً. وأتى الكرماني نصراً، فدخل سرادقه فآمنه. ولحق عبد العزيز بن عبد ربه بالحارث بن سريج.

وأتى نصراً عزل منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ستٍ وعشرين ومائة، فخطب الناس، وذكر ابن جمهور، وقال: قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطيّب ابن الطيّب، فغضب الكرماني لابن جمهور، فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح. وكان يحضر الجمعة في ألفٍ وخمسمائةٍ وأكثر وأقل، فيصلّي خارجاً من المقصورة، ثم يدخل على نصر، فيُسلّم ولا يجلس. ثم ترك الذهاب إلى نصر، وأظهر الخلاف. ولم تُجدِ الرسل التي أرسلها

نصر إليه، إذ لم يأمن الكرماني نصراً على حال.

وأخيراً قال الكرماني لرسول نصر: قل له: لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، فتركب منا ما لا بقية بعده، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبةٍ لك، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها. وتهيّأ ليخرج إلى جرجان.

الحارث بن سريج:

كان الحارث بن سريج قد التحق بالترك قبل اثنتي عشرة سنةً، وبقي عندهم مع جماعته، فلما وقع الخلاف بين نصر بن سيّار والي خراسان والكرماني ذي العصبية اليمانية. خاف نصر بن سيّار أن يستغلّ الحارث بن سريج هذه الفرصة ويُهاجمه بأصحابه والترك فيكون أمره أشدّ عليه من الكرماني وغيره، وطمع أن يناصحه، فأرسل إليه جماعةً يحاولون ردّه عن بلاد الترك.

كما خرج خالد بن زياد البدّيّ من أهل ترمذ، وخالد بن عمرو مولى بني عامر إلى الخليفة يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سريج، فقدما الكوفة، فسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح ـ وكان من

خاصّة يزيد بن الوليد ـ فكتب لهما إليه، فأدخلهما عليه، فقال له خالد بن زياد: يا أمير المؤمنين، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله، وعمالك يغشمون ويظلمون، قال: لا أجد أعواناً غيرهم، وإني لأبغضهم، قال: يا أمير المؤمنين، ولّ أهل البيوتات، وضمّ إلى كل عاملٍ رجالاً من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما في عهدك، قال: أفعل. وسألاه أماناً للحارث بن سريج، فكتب له:

أما بعد، فإنا غضبنا لله إذ عُطّلت حدوده، وبُلغ بعباده كل مبلغٍ، وسُفكت الدماء بغير حلّها، وأُخذت الأموال بغير حقها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه ﷺ، ولا قوة إلا بالله، فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمناً أنت ومن معك، فإنكم إخواننا وأعواننا. وقد كتبت إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردّ ما كان اصطُفي من أموالكم وذراريكم.

ورجع خالد بن زياد وخالد بن عمرو، ومرّا على الكوفة، ثم قدما (مرو) فدفعا كتاب الخليفة يزيد بن الوليد إلى نصر بن سيّار، فردّ ما كان أُخِذ لهم مما قدر عليه.

وقدم الحارث بن سريج، وقدم معه القاسم الشيباني، ومضرس بن عمران، وعبد الله بن سنان. فمرّوا على سمرقند وعليها منصور بن عمر، فلم يستقبلهم، ومنها تابعوا السير إلى مرو.

ولاية العهد:

مرض يزيد بن الوليد في شهر ذي الحجة سنة ستٍ وعشرين ومائة، فقيل له: بايع لأخيك إبراهيم بن الوليد ولابن عمك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من بعده، ولم تزل القدرية يحثّونه على البيعة، ويقولون له: إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمر الأمة فبايع لأخيك حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده.

وفاة يزيد:

توفي يزيد بن الوليد بالطاعون بعد عيد الأضحى لعشرٍ بقين من ذي الحجة سنة ستٍ وعشرين ومائة، فكانت ولايته خمسة أشهرٍ واثنتين وعشرين ليلةً.

وكانت وفاته بدمشق، وكانت آخر عبارةٍ نطق بها: واحسرتاه واأسفاه، ودفن خارج باب الفراديس.

وكانت سنّه يوم وفاته ستّاً وأربعين سنةً.

صفة يزيد:

كان أسمر طويلاً نحيفاً، حسن الوجه، صغير الرأس، بوجهه خال، في فمه بعض السعة، وليس بالمفرط، خفيف العارضين، فصيحاً، شديد العجب.

أسرة يزيد:

والد يزيد هو الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقد تولّى الخلافة بعد أبيه وبعهدٍ منه، وكانت خلافته عشر سنوات من ٨٦ ـ ٩٦هـ.

وأما أمه فهي أم ولد، واسمها (شاه آفريد) بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى. فقد غزا قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد ما وراء النهر فظفر بابنتي فيروز، فبعث بهما إلى الحجاج. فبعث الحجاج بإحداهما إلى الوليد وهي (شاه آفريد) فاتّخذها الوليد لنفسه فولدت له يزيد.

وجدّة فيروز هي ابنة خاقان الترك، وأمهما هي ابنة قيصر عظيم الروم. فكان يزيد يفتخر، ويقول:

أنا ابن كسرى وأبي مروان

وقيصر جدّي وجدّي خاقان

أولاد يزيد:

كان ليزيد بن الوليد من الأبناء:

١ ـ خالد: وبه يُكنى أبوه.

٢ ـ الوليد.

٣ ـ عبد الله.

٤ ـ عبد الرحمن.

٥ ـ الأصبغ.

٦ ـ أبو بكر.

٧ ـ عبد المؤمن.

٨ ـ علي.

الباب الثالث

إبراهيم بن الوليد

ذو الحجة ١٢٦ - صفر ١٢٧ هـ

بويع لإبراهيم بن الوليد بعد أخيه يزيد، وأمه أم ولدٍ بربرية، وكان أبيض جميلاً وسيماً طويلاً يميل إلى السِّمَن. وكان ذا شجاعةٍ.

لم يتمّ الأمر لإبراهيم، كان يُسلّم عليه جمعةً بالخلافة، وجمعةً بالإمرة، وجمعة لا يُسلّمون لا بالخلافة ولا بالإمرة، فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، واختفى إبراهيم ونهب بيت المال، ثم تمكّن مروان بن محمد فأمن إبراهيم.

وقُتل إبراهيم في معركة الزاب سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قيل: كانت ولايته ثلاثة أشهرٍ، وقيل: سبعين ليلةً.

خلاف مروان بن محمد:

كان مروان بن محمد بن مروان أمير أرمينية أيام الوليد بن يزيد، فلما قُتل الوليد سار مروان من أرمينية إلى الجزيرة وغلب عليها، وأظهر أنه ثائر للوليد، منكر

قتله، غير أنه لم يلبث أن أظهر البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولّاه عمل أبيه محمد بن مروان، وهو إمرة أرمينية والجزيرة وأذربيجان. وقد وجّه وهو في حرّان محمد بن عبد الله بن عُلاثة وجماعةً من وجوه أهل الجزيرة إلى يزيد بن الوليد.

أتى مروان خبر موت يزيد بن الوليد فأرسل إلى محمد بن عبد الله بن عُلاثة وأصحابه فردّهم من منبج، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد.

سار مروان بن محمد في جند الجزيرة، وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألفاً من المرابطين بالرقة. فلما وصل مروان إلى قنّسرين، وعليها بشر بن الوليد والياً، ولّاه أخوه يزيد، وأقرّه بعده أخوه إبراهيم. فخرج بشر بعسكره ووقف في وجه مروان، فنادى مروان الناس ودعاهم إلى مبايعته، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية، وأسلموا بشراً وشقيقه مسروراً، فأخذهما مروان وحبسهما، وتابع سيره فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنّسرين متوجّهاً إلى أهل حمص.

كان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا لإبراهيم بن الوليد وعبد العزيز بن

الحجاج بن عبد الملك، فوجّه إليهم إبراهيم بن الوليد قوةً بإمرة عبد العزيز بن الحجاج فحاصرهم في مدينتهم، وأغذّ مروان السير، فلما دنا من مدينة حمص رحل عبد العزيز بن الحجاج عنها، وخرج أهل حمص إلى مروان فبايعوه، وساروا معه.

وجه إبراهيم بن الوليد الجند مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الجَرّ[1]، وعددهم حوالي عشرين ألف ومائة، وجاء مروان بثمانين ألفاً، والتقى الطرفان، فدعاهم مروان إلى الكفّ عن قتاله، والتخلية عن ابني الوليد بن يزيد، وهما الحكم وعثمان المسجونان في سجن دمشق، وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتل أبيهما، وألا يطلبا أحداً ممن ولي قتله، فأبوا عليه، وجدّوا في قتاله. واستمّر القتال حتى العصر، وكثر القتل بين الفريقين، ولجأ مروان إلى الحيلة فتمّت هزيمة أهل دمشق، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحردهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، وكفّ أهل الجزيرة وأهل قنّسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً.

---

(١) عين الجَرّ: موقع في البقاع بين بعلبك ودمشق.

ومضى سليمان بن هشام ومن معه ممن فلّ من المعركة حتى كانوا صباحاً في دمشق، واجتمع إلى سليمان، وإلى إبراهيم بن الوليد وعبد العزيز بن الحجاج رؤوس من معهم مثل: يزيد بن خالد القسريّ وأبو علاقة السكسكي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي و.... فقال بعضهم لبعضٍ: إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقوم مروان ويخرجهما من السجن ويُصيّر الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قتلة أبيهما، والرأي أن نقتلهما، فولّوا ذلك يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ، وكان في السجن مع الغلامين أبو محمد السفياني ويوسف بن عمر الثقفي. فأرسل يزيد مولى لخالد يقال له أبا الأسد، في عدةٍ من أصحابه، فدخل السجن، فشدخ الغلامين بالعُمد، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه، وأراد قتل أبي محمد السفياني فدخل أحد بيوت السجن، وأغلقه، وتترّس، وهم يهمّون باقتحام البيت عليه إذ يقال: دخلت خيل مروان بن محمد المدينة، فهرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب، وأنهب سليمان بن هشام ما كان في بيت المال وقسّمه فيمن معه من الجنود، وخرج من المدينة.

وثار من في دمشق من موالي الوليد بن يزيد إلى

دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد. ودخل مروان دمشق فأُتي بابني الوليد بن يزيد المقتولين الحكم وعثمان، وبيوسف بن عمر فأمر بدفنهم. وأُتي بأبي محمد السفياني محمولاً، فسلّم عليه بالخلافة، ومروان يومئذٍ يسلّم عليه بالإمارة، فقال له: مه، فقال: إنهما جعلاها لك بعدهما. وأنشده شعراً ادّعى أن الحكم قاله في السجن قبل أن يُقتل. أو هكذا حُبكت الرواية:

ألا من مبلغٌ مروان عنّي
وعمي الغمر طال بنا حنينا
بأني قد ظُلمت وصار قومي
على قتل الوليد متابعينا
أيذهب كلبهم بدمي ومالي
فلا غثّاً أصبت ولا سمينا
ومروان بأرض بني نزارٍ
كليث الغاب مفترش عرينا
ألم يحزنك قتل فتى قريشٍ
وشقُّهُمُ عِصيّ المسلمينا
ألا فاقرا السلام على قريشٍ
وقيسٍ بالجزيرة أجمعينا

وساد الناقص القدريّ فينا
وألقى الحرب بين بني أبينا
فلو شهد الفوارس من سُلَيمٍ
وكعبٍ لم أكن لهم رهينا
ولو شهدت ليوث بني تميمٍ
لما بِعْنا تراث بني أبينا
أتنكث بيعتى من أجل أمّي
فقد بايعتُمُ قبلي هجينا
فليت خؤولتي من غير كلبٍ
وكانت في ولادة آخرينا
فإن أهلك أنا ووليّ عهدي
فمروان أمير المؤمنينا

قيل: وكان ابنا الوليد بن يزيد، وهما الحكم وعثمان قد بلغا، وولد لأحدهما وهو الحكم، والآخر وهو عثمان قد احتلم قبل ذلك بسنتين.

ثم قال أبو محمد السفياني لمروان: ابسط يدك أبايعك، وسمعه من مع مروان من أهل الشام، فكان أول من نهض: معاوية بن يزيد بن الحصين بن نُمير ورؤوس أهل حمص، فبايعوه، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو

الجبرانيّ، واختار أهل حمص عبد الله بن شجرة الكنديّ، واختار أهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، واختار أهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذاميّ، فأخذ عليهم العهود المؤكّدة والأيمان المغلّظة على بيعته.

بعد أن دانت الشام لمروان انصرف إلى مقرّه في حرّان، وطلب منه الأمان إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم. وقدم عليه سليمان ـ وكان سليمان بن هشام يومئذٍ بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية ـ فبايعوا مروان بن محمد.

خروج عبد الله بن معاوية:

قدم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز وراغباً صلته، لا يبغي خروجاً ولا يُفكّر في ذلك، وتزوّج ابنة حاتم بن الشرقي بن عبد المؤمن بن شَبَث بن رِبْعي، فلما وقعت العصبية قال له أهل الكوفة: ادع إلى نفسك، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان، فدعا سرّاً بالكوفة، وابن عمر بالحيرة، وبايعه ابن ضمرة الخزاعي، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه، فأرسل إليه: إذا

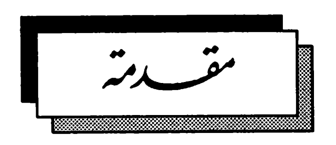
نحن التقينا بالناس انهزمتُ بهم. وبلغ ابن معاوية ذلك، فلما التقى الناس بين الكوفة والحيرة قال ابن معاوية: إن ابن ضمرة قد غدر، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس فلا يهولنّكم انهزامه، فإنه عن غدرٍ يفعل. فلما التقوا انهزم ابن ضمرة، وانهزم الناس، فلم يبق معه أحد.

رجع عبد الله بن معاوية إلى الكوفة، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه، وأتاه قوم من أهل الكوفة فخرج فغلب على حلوان والجبال.

الباب الرابع

مروان بن محمد بن مروان

صفر ١٢٧ - جمادى الآخرة ١٣٢هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى إخوانه أنبياء الله ورسله، وعلى آله وصحبه أجمعين، *أما بعد* :

فإن الأخطاء، وإن كانت صغيرةً، قد تتراكم في مقرّ دولةٍ ما، وتتزايد مع الزمن حتى تصبح مشكلةً يصعُب حلّها، وفي الوقت نفسه لا يمكن إغفالها وعدم النظر إليها لما لها من أثرٍ بين الراعي والرعية، ولدخولها في علاقة رجال المسؤولية بعضهم مع بعضٍ، وعلاقة تلك النخبة التي بيدها القرار، وبيدها معالجة الأمور وإعطاء الحلول.

كما أن سوء التصرّفات، وإن كانت قليلةً، قد تتجمّع بعضها مع بعضٍ حتى تصبح مُعضلةً، يصعُب تجنّبها لارتباطها برؤوسٍ من أبناء الأمة، ولكلٍّ منهم مدافع يُبرّر له ما وقع منه، أو منافس يُحمّله نتائج ما جرى.

وقد تنتشر في الأمة أفكار غريبة تنتج عنها عواقب وخيمة كالعصبيات الجاهلية من عصبياتٍ إقليميةٍ، وقبيليةٍ، أو لرأسٍ معين. فإذا ما انتشرت هذه العصبيات اضطربت الأوضاع، وعمّت الفوضى، ولا تُجدي صيحات الإصلاح مهما تعالت لأن العقول امتلأت بما تهوى، وسارت نحو ما ترمي إليه، ولا تلتفت إلا بما تُفكّر.

فإذا آل أمر أمةٍ إلى هذا وقطعت شوطاً فيه أخطاء، وأمضت زمناً فيه تصرّفات غير سليمةٍ، وانتشرت فيها العصبية، وصُمّت الآذان عن سماع الحق، فإذا آل أمر هذه الأمة إلى رجلٍ فإنه لا يستطيع أن يسير بها في طريقٍ سليمٍ، ويُعيد لها عهد شبابها، واجتماع كلمتها، ووحدة صفّها مهما أُوتي من حكمةٍ، ومهما أُعطي من قوةٍ وشجاعةٍ، ومهما مارس من دهاءٍ وسياسةٍ، إذ لكلٍّ وضعه، فللحكمة وقتها، وللشجاعة وضعها، وللسياسة والدهاء زمن لممارستها، ولا يصلح وضع أمرٍ موضع غيره.

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

بل إن هذه الأمة ستستمر في طريق الانحدار

والتراجع، ويزداد اضطراب الأمور، وتتسع أعمال الفوضى، وتكثر الخلافات حتى تنهار الأركان ركناً بعد ركنٍ، وقد يتغلّب عدّوها عليها، وتنحسر هي عن الساحة التي كانت تشغلها.

وربما جاء من يدوّن التاريخ فيضع اللوم في ضياع السلطان على كاهل آخر من استلمه، فيتهمه بالضعف وقد كان شجاعاً، ويَسِمُهُ بعدم الحكمة وهو الحكيم، ويصفه بالتقصير وقد عُرف بمبادرته للأحداث، ويقول عنه: إنه لم يكن سياسياً، وتشهد له الأحداث غير ذلك، لكنه أتى في وقتٍ تفاقمت فيه الأمور، وتكاثرت المصائب، واستعصت الحلول، وازدادت أطماع الأعداء، وارتفعت معنوياتهم لمّا رأوا تفرّق كلمة الأمة.

وجاء مروان بن محمد إلى الخلافة، بعد أن كان الخلاف قد وقع بين بني مروان، وهم رجال العهد، ومنهم الخلفاء، كما انتشرت العصبية الجاهلية فتشتّتت الأمة، وتفرّقت كلمتها، ولم يستطع مروان بن محمد أن يفعل شيئاً، بل سار بأهله نحو الانحدار، فقُتل، وقُتل معه عدد من بني مروان، وانتهى عهد بني أمية، وتسلّم مكانه بنو العباس. ولم تكن تنقص مروان بن محمد

الشجاعة بل عُرف بشجاعته الزائدة، ولم تعوزه الحنكة فقد حاز طرفاً منها، ولم يحتج إلى الحكمة فقد نال قسطاً منها، ولم يفتقد إلى الدهاء إذ وُصِف به، ومع كل هذا فقد كانت هاوية أهله على يده، وألصق به بعض الناس كل ما حدث، وحمّلوه جريرة ما وقع، ولا ذنب عليه، ولم يقع تقصير منه غير أن الوضع المتردّي قد أدّى إلى الكارثة التي وقعت بالعهد الأموي.

ولا بد للناس من أن يضعوا أكبر المسؤولية على كاهل أحد المسؤولين، وغالباً ما يحمل ذلك آخرهم، وإن كان أشدّهم، وذلك لأن النكبة وقعت في عهده، وهذا ما كان من أمر مروان بن محمد فقد حُمّل ظلماً ما لم يحمل.

فنرجو من الله أن نعطي صورةً صادقةً عن حياة هذا الخليفة الأخير من بني أمية.

الفصل الأول

مروان بن محمد قبل الخلافة

ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين.

وأبوه محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص. وهو أخو عبد الملك بن مروان بن الحكم. وأما أمه فهي أم ولد تدعى زينب، وكان محمد بن مروان قوياً في بدنه، مفرط القوى، شديد البأس، موصوفاً بالشجاعة، كان أخوه عبد الملك يغبطه على ذلك ويحسده، وكان يفعل أشياء لا يزال يراها منه، فلمّا استوثق الأمر لعبد الملك جعل يُبدي له الشيء بعد الشيء مما في نفسه، ويُقابله بما يكره، فلما رأى محمد ذلك تهيّأ للرحيل إلى أرمينية، وأصلح جهازه، ورحلت إبله، ودخل يودّع أخاه، فقال له: ما بعثك على ذلك، فأنشأ يقول:

وإنــك لا تــرى طــرداً لــحــرٍّ

كــإلــصــاق بــه بــعــض الــهــوان

فلو كنّا بمنزلةٍ جميعاً
جريت وأنت مضطرب العنان

فقال: أقسمت عليك إلا ما أقمت فوالله ما رأيت مكروهاً بعدها، فأقام.

قاتل إبراهيم بن الأشتر، ومصعب بن الزبير، وهو أشدّ بني مروان. وولي لأخيه عبد الملك الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وله مواقف بطولية ضد الروم والأرمن، وتوفي سنة إحدى ومائة.

وأما أم مروان فهي أم ولدٍ كردية تُدعى لُبانة كانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي أخذها محمد بن مروان من معسكره، وقيل: كانت من قبل لمصعب بن الزبير. وقد ولدت لمحمد: مروان، ومنصوراً، وعبد الله.

كان مروان أبيض، ضخم الهامة، شديد الشّهلة، كثّ اللحية أبيضها، ربعة، مهيباً، شديد الوطأة، أديباً، بليغاً، له رسائل تؤثر.

وكان بطلاً شجاعاً داهيةً رزيناً، جبّاراً، يصل السير بالسري، ولا يجفّ له لِبْد، دوّخ الخوارج بالجزيرة.

ويقال عنه: أصبر في الحرب من حمار، ويُعرف

بـ (مروان الحمار)، كما يعرف بـ (مروان الجعدي) نسبةً إلى مؤدبه (جعد بن درهم)[1].

ويكنى مروان: أبا عبد الملك.

لـم يعِ مروان بن محمد على الحياة إلا وعمه عبد الملك خليفةً قد استقرّ له الوضع بعد مقتل الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، وغدا عبد الملك هو الخليفة الشرعي بالغلبة، وبويع له في أرجاء ديار الإسلام كلها، ويشعر مروان أنه من أفراد الأسرة الحاكمة.

وعندما بلغ مروان من العمر أربعة عشر عاماً توفي

---

(١) الجعد بن درهم: كان الجعد أول من تفوّه بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام، ويقال: إن الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن، وأصله من حرّان. وقف الجعد بن درهم على وهب بن مُنبّه، فجعل يسأله عن الصفة، فقال: يا جعد، ويلك انقص من المسألة، إني لأظنّك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً، ما قلنا ذلك، وأن له عيناً ما قلنا ذلك.

خطب خالد بن عبد الله القسري الناس يوم الأضحى بواسط، وقال: ضحّوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مُضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه.

عمه عبد الملك، وانتقلت الخلافة إلى ابن عمه الوليد بن عبد الملك، بعهدٍ من أبيه. واستمرت خلافة الوليد عشر سنواتٍ فأصبح عمر مروان أربعةً وعشرين عاماً، وأصبح يُشارك في أعمال الفتح والجهاد في سبيل الله.

وتوفي الوليد وخلفه أخوه سليمان بعهدٍ من أبيه أيضاً، ومروان في ريعان الشباب، وقد عُرف بالإقدام والشجاعة. ولم تطل خلافة سليمان أكثر من سنتين وسبعة أشهرٍ.

وتولى الخلافة ابن عمه الآخر عمر بن عبد العزيز بعهدٍ من ابن عمه سليمان بن عبد الملك، ولم تزد أيام خلافة عمر بن عبد العزيز على سنتين وخمسة أشهرٍ، وخلفه ابن عمه يزيد بن عبد الملك، وهذه المدة كلها ومروان يُشارك في الغزو على الجبهة الشمالية. وقاد الغزو سنة خمسٍ ومائة، وتمكّن بإذن الله من فتح مدينة قونية.

وجاء إلى الخلافة هشام بن عبد الملك بعهدٍ من أخيه يزيد، وقدّر لابن عمه مروان بن محمد دوره في الجهاد، كما عرف دور أبيه محمد بن مروان بن الحكم، فولّى مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان، وطالت مدة خلافة هشام بن عبد الملك حتى قاربت

العشرين عاماً (تسعة عشر عاماً وسبعة أشهرٍ وأحد عشر يوماً). وكان مروان يؤدّي مهمّته في ولايته، ويغزو أعداء المسلمين، بما يُرضي نفسه، ويرضي الخليفة، ويقدّم ما عليه تجاه دينه.

مع الوليد بن يزيد:

بعد هشام بن عبد الملك آلت الخلافة إلى الوليد بن يزيد بعهدٍ من أبيه يزيد بن عبد الملك، ولم يكن هشام راضياً عن الوليد ولي عهده، ولكن لا رأي له، فالعهد من سابقه، ولم يجد في ولده مسلمة بن هشام مُؤهّلاً يجعله خليفةً صالحاً، رغم نصح الزهري وغيره في خلع الوليد.

وبويع الوليد بن يزيد بالخلافة في السادس من ربيع الثاني سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وجاءته البيعة من الولاة والأمصار، ومنهم أمير أرمينية مروان بن محمد - كما مر - ولم يكن مروان يُفكّر بالخلافة، فأُمُّه أمُّ ولدٍ، ومن كانت أمه كذلك فلن يوصله مكانه إلى الخلافة. كما أن لبيعة مروان معنى آخر، وهو أنه شعر بالخلاف الذي كان بين الخليفة الجديد الوليد بن يزيد وبين الخليفة السابق عمه هشام بن عبد الملك،

ويستدعي هذا الخلاف سياسياً أن يستبدل الخليفة الجديد عمّال سابقه، فكأن هذه المبادرة بالبيعة إيذاناً بتأييد الخليفة الجديد لإبقائه على عمله والياً على أرمينية، وقد تمّ ذلك.

غير أن الوليد بن يزيد قد سار في طريق اللهو، ومشى بأسلوب الاستهتار، واتّخذ سبيل العطاء وإرضاء الآخرين فزاد الأُعطيات، إلا أن طريق اللهو قد أثار عليه الآخرين، وكثرت النقمة عليه، وتمكّن ابن عمه يزيد بن الوليد أن يجمع الناس حوله، وأن يُبعدهم عن ابن عمه، ثم سار إليه وقتله، وتسلّم الخلافة.

مع يزيد بن الوليد:

فتحت خلافة يزيد بن الوليد عيني مروان بن محمد إلى الخلافة إذ أن أم يزيد بن الوليد أم ولد، ومع ذلك قد ارتقى إلى سدّة الخلافة، وإن كانت هذه أول مرةٍ يعتلي الخلافة ابن أم ولدٍ، فيمكن لمروان إذن أن يسلك طريقها.

اتخذ مروان بن محمد أسلوب المدافع عن الوليد بن يزيد، والمطالب بثأره، فكتب إلى أخيه الغمر بن يزيد يدفعه للمطالبة بدم أخيه الوليد بن يزيد،

وتحرّك هو نحو الجزيرة أي مقترباً من دمشق. وأحسّ يزيد بن الوليد بما يجول في فكر مروان بن محمد، فبعث له وفداً يلمح بولاية الجزيرة وأرمينية وأذربيجان كما كان أبوه محمد بن مروان في عهد أخيه عبد الملك بن مروان، فوافق مروان ضمناً بهذا العرض إضافةً إلى أنه شعر تفرقة البيت المرواني، وانقسام الكلمة، وتجزئة الصف، فبايع ليزيد بن الوليد، واتّجه إلى إمارته يتفقّد شؤونها، ويُعزّز ثغورها.

لم تمض سوى مدة وجيزة حتى عهد يزيد بن الوليد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد، وهذا ما فتح عيني مروان من جديدٍ إلى الخلافة إذ أن أم إبراهيم أم ولدٍ أيضاً، وكأن المجال قد فتح أمام أبناء أمهات الأولاد ليتقلّدوا الخلافة.

ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن مروان بن محمد أكبر سنّاً من هؤلاء الثلاثة الذين تَوَالوْا على الخلافة: الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، وهو عند نفسه أيضاً أكثر أهليةً لها، إذ يفوقهم شجاعةً، ويتقدّمهم خبرةً، ويمتاز عنهم دهاءً، وتشهد له بذلك حروبه، وتجاربه. ولم يلبث يزيد بن الوليد أن توفي، ولم تتكامل مدة خلافته ستة أشهرٍ.

مع إبراهيم بن الوليد:

لم يحتج الأمر عند مروان إلى تفكيرٍ بالنسبة إلى خلافة إبراهيم بن الوليد إذ تحرّك مباشرةً نحو دمشق، بل كان قد أرسل وفداً إلى يزيد بن الوليد، فلما جاءه خبر وفاته بعث من أعاد الوفد من منبج.

سار مروان من الجزيرة، وخلّف وراءه ردءاً في الرقة بقيادة ابنه عبد الملك، واتّجه نحو قنّسرين فدخلها، وتابع إلى حمص فبايعه أهلها، واستمّر في سيره نحو دمشق، فانتصر في عين الجرّ، ثم دخل دمشق، وكان قد قُتل قبل دخوله إليها ابنا الوليد بن يزيد الحكم وعثمان، وقُتل معهما يوسف بن عمر الثقفي، ونجا أبو محمد السفياني.

هرب من دمشق إبراهيم بن الوليد، واختفى، ونهب سليمان بن هشام بيت المال وقسمه بين جنده، وخرج من المدينة. وبايع أبو محمد السفياني لمروان بن محمد بالخلافة، وأنشده شعراً، وزعم فيما قاله، أن الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد قد عهدا إلى مروان بالخلافة قبل موتهما، وهما أصحاب الحق الشرعي.

اختار مروان بن محمد ولاة بعض الأمصار حسب رأي أهلها. وأعطى الأمان لإبراهيم بن الوليد،

وسليمان بن هشام. ورجع مروان بن محمد إلى مقرّه في حرّان، وجاءه سليمان بن هشام وأهله من تدمر مبايعين. وبدأت خلافة مروان.

الحارث بن سريج:

رجع الحارث بن سريج من بلاد الترك إلى خراسان بالأمان الذي كتبه له يزيد بن الوليد، وصار إلى نصر بن سيّار في مرو، ثم خالفه وأظهر الخلاف له، وبايعه على ذلك جمع كبير.

قَدِم الحارث بن سريج مرو يوم الأحد لثلاثٍ بقين من شهر جمادى الآخرة سنة سبعٍ وعشرين ومائة، فتلقّاه سلْم بن أحوز والناس، فقال محمد بن الفضل بن عطية العبسيّ: الحمد لله الذي أقرّ أعيننا بقدومك، وردّك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة. قال: يا بني، أما علمت أن الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً، وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً، وما قرّت عيني منذ خرجت إلى يومي هذا، وما قُرّة عيني إلا أن يطاع الله. فلما دخل مرو قال: اللهم إني لم أَنوِ قطّ في شيءٍ مما بيني وبينهم إلا الوفاء، فإن أرادوا الغدر فانصرني عليهم. وتلقّاه نصر بن سيّار وأنزله

قصراً، وأجرى عليه نزلاً خمسين درهماً في كل يومٍ.

عرض نصر على الحارث أن يُولّيه ويُعطيه مائة ألف دينارٍ، فلم يقبل، وأرسل إلى نصر: إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذّات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيءٍ، وإنما أسأل كتاب الله عزّ وجلّ والعمل بالسنّة واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلتَ ساعدتك على عدوّك.

وأرسل الحارث إلى الكرماني: إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألت من استعمال أهل الخير والفضل عضدته، وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه، وأعنتك إن ضمنت لي ما أُريد من القيام بالعدل والسنة.

وكان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه فبايعه عدد من كبارهم. وقال الحارث لنصر: خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنةً إنكاراً للجوْر، وأنت تريدني عليه. فانضمّ إلى الحارث بن سريج ثلاثة آلاف[1].

---

(١) تاريخ الطبري.

الفصل الثاني

خلافة مروان بن محمد

زادت مدة خلافة مروان بن محمد على خمس سنواتٍ، ولكنه لم ينعم فيها بأقلّ راحةٍ، ولم يشعر ساعةً بهدوء بالٍ وطمأنينةٍ. وذلك أن العصبية الجاهلية قد عصفت بديار الإسلام فعمّت الفوضى، وقلّت هيبة الدولة فقامت حركات ضدّها، واستغلّ ذلك الخوارج فنشطت ثورتهم، وهذا كله قد أسهم في ضعف الدولة فتحرّك أولئك الذين استظلّوا بظلّ الدعوة العباسية، وقاموا يُحقّقون أهدافهم، ويُنفّذون مخططاتهم.

بدأت العصبية؛ فثابت بن نعيم الجذامي الذي ولّاه مروان بن محمد أمر فلسطين حسب رأي أهلها، وكان ثابت ذا نزعةٍ يمانيةٍ زائدةٍ فراسل اليمانيين وكاتبهم، وأثار فيهم الحماسة القبيلية فأخذوا يتحرّكون. وما مضى سوى ثلاثة أشهرٍ على وصول مروان بن محمد إلى حرّان بعد مبايعته بدمشق حتى انتفضت الشام عليه.

حركة أهل حمص:

انتفضت حمص على مروان بن محمد، واستنجد أهلها ببني كلب في تدمر، فجاءهم نحو ألف فارسٍ بقيادة الأصبغ بن زؤالة الكلبي، ومعه أبناؤه الثلاثة: حمزة، وزؤالة، وفُرافصة، إضافةً إلى معاوية السكسكيّ - فارس الشام - وهشام بن مصاد، وطفيل بن حارثة، ودخلوا مدينة حمص ليلة عيد الفطر من سنة سبعٍ وعشرين ومائة، ومروان لا يزال في حماة ليس بينه وبينهم سوى ثلاثين ميلاً، فأتاه خبرهم صبيحة عيد الفطر، فجدّ في السير، ومعه يومئذٍ إبراهيم بن الوليد المخلوع، وسليمان بن هشام، وقد كانا راسلاه، وطلبا إليه الأمان، فصارا معه في عسكره يُكرمهما ويُدنيهما، ويجلسان معه على غدائه وعشائه، ويسيران معه في موكبه.

وصل مروان بن محمد إلى حمص بعد عيد الفطر بيومين، والكلبية فيها قد ردموا أبوابها من داخل، وهو على عُدّةٍ معه روابطه فأحدقت خيله بالمدينة، ووقف حذاء بابٍ من أبوابها، وأشرف على جماعةٍ من الحائط، فناداهم مناديه: ما دعاكم إلى النكث؟ قالوا: إنا على طاعتك لم ننكث، فقال لهم: فإن كنتم على ما

تذكرون فافتحوا، ففتحوا الباب، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح في الوضاحية، وهم نحو من ثلاثة آلافٍ فقاتلوهم في داخل المدينة، فلما كثرتهم خيل مروان انتهوا إلى باب تدمر، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلوهم، فقُتل عامتهم، وأُفلت الأصبغ بن زؤالة الكلبي، ومعاوية السكسكيّ، وأُسِر ابنا الأصبغ: زؤالة وفُرافصة في نيفٍ وثلاثين رجلاً منهم، فأُتي بهم مروان فقتلهم وهو واقف، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائةٍ أو ستمائةٍ فدُفنوا، وهدم جزء من سور المدينة.

حركة غوطة دمشق:

وثار أهل الغوطة، واتجهوا إلى دمشق فحاصروا أميرها زامل بن عمرو، وولّوا عليهم يزيد بن خالد بن عبد الله القسري. وثبت مع زامل بن عمرو حوالي أربعمائة رجلٍ من أهل المدينة مع قائد يعرف بـ (أبو الهبّار القرشي).

وجّه مروان بن محمد، وهو في حمص، إلى أهل دمشق مجزأة أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث، ومعه عمرو بن الوضاح في عشرة آلاف رجلٍ، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج من المدينة أبو

الهبّار وخيله، فهزم جيش مروان أهل دمشق، واستباح عسكرهم، وحرق المِزّة من قرى اليمانية، ولجأ يزيد بن خالد القسري وأبو عِلاقة إلى رجل من لخم من أهل المِزّة، فدلّ عليهما زامل، فأُرسل إليهما، فقُتلا قبل أن يوصل بهما إليه.

حركة فلسطين:

وخرج عن الطاعة في فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي، واتّجه نحو طبرية، وحاصر أهلها، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، ابن عم مروان بن محمد، فقاتلوه أياماً، فكتب مروان إلى أبي الورد أن يسير إليهم ويدعمهم، فرحل من دمشق بعد أيامٍ، فلما بلغ أهل طبرية دنو أبي الورد من مدينتهم خرجوا من المدينة على ثابت ومن معه، واستباحوا عسكره، فهرب ثابت نحو الجنوب وجمع قومه وجنده، ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانيةً، وتفرّق من معه، وأسر ثلاثة رجالٍ من ولده، وهم: نُعيم، وبكر، وعمران، فبعث بهم إلى مروان بن محمد، وهم جرحى، وهو بـ (دير أيوب)، فأمر بمداواة جراحاتهم، وتغيّب ثابت بن نُعيم، وولده رُفاعة بن ثابت، وكان رُفاعة أكثر إخوته لؤماً، وقد لحق بمنصور بن جمهور، فأكرمه منصور وولّاه وخلّفه مع

أخيه منظور بن جمهور، وتوجّه منصور نحو الملتان، فوثب رُفاعة على منظور فقتله، فرجع منصور وقبض على رفاعة، وقتله شرّ قِتلة.

وولّى مروان بن محمد على فلسطين الرُّماحس بن عبد العزيز الكناني، وكتب إليه في طلب ثابت بن نُعيم، وكان ثابت قد فرّ من فلسطين إلى مصر ودخلها مع جماعةٍ من اليمانية باتفاقٍ مع واليها حفص بن الوليد. ودعا ثابت ومن معه إلى خلع مروان بن محمد، فاستجاب لهم أهل مصر، ولم يخالف منهم أحد. غير أن زبّان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قد تصدّى له وقاتله فهزمه، فاضطر ثابت أن يرجع إلى فلسطين متخفياً. غير أن رجلاً من قومه قد دلّ عليه، فأُخذ ومعه نفر، فأُتي به مروان موثقاً بعد شهرين، فأمر به وببنيه الذين كانوا بين يديه (نعيم، بكر، عمران) فقطعت أيديهم وأرجلهم، ثم حُملوا إلى دمشق فأُقيموا على باب مسجدها، ثم قتلهم. واستقامت الشام لمروان سوى تدمر حتى هدم سورها.

حركة سليمان بن هشام:

كان سليمان بن هشام بجانب مروان بعد أن أمّنه،

وكان مروان يكرم سليمان ويقدّمه. ولما سار مروان من الرصافة إلى الرقة لتوجيه يزيد بن عمر بن هبيرة لقتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي بالعراق، فاستأذن سليمان بن هشام مروان بن محمد في مُقام أيامٍ لإجمام ظهره وإصلاح أمره، فأذن له، ومضى مروان، وجاء إلى الرصافة ما يقرب من عشرة آلافٍ فدعوا سليمان إلى خلع طاعة مروان وقتاله، وقالوا له: أنت أرضى منه عند أهل الشام، وأولى بالخلافة، فاستزله الشيطان، فأجابهم، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه، فعسكر بهم، وسار بجمعهم إلى قنّسرين، فكاتب أهل الشام فانقضّوا إليه من كل وجهٍ. وأقبل مروان إليه بعد أن شارف قرقيسيا، وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالوقوف في عسكره.

دخل آل سليمان بن هشام ومواليهم حصن الكامل فتحصّنوا فيه وأغلقوا الأبواب، فأرسل إليهم مروان: ماذا صنعتم؟ خلعتم طاعتي، ونقضتم بيعتي بعدما أعطيتموني من العهود والمواثيق، فردّوا على رسله: إنا مع سليمان على من خالفه. فردّ إليهم: إني أُحذّركم وأُنذركم أن تعرضوا لأحدٍ ممن تبعني من جندي، أو يناله منكم أذىً، فتحلّوا بأنفسكم ولا أمان

لكم عندي. فأرسلوا إليه: إنا سنكفّ. ومضى مروان، فجعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس، ومن شذّ من الجند، فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم، وبلغه ذلك فتحرّق عليهم غيظاً.

اجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام وغيرهم، وعسكر في قرية لبني زُفَر يقال لها (خُساف) من أرض قنّسرين. فلما دنا منه مروان قدم له معاوية السكسكيّ في نحو سبعة آلاف، ووجّه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عدتهم، فالتقوا فيما بين العسكرين، والتقى معاوية السكسكي مع عيسى بن مسلم، فصرع معاوية صاحبه وأخذه أسيراً، وهُزمت مقدمة مروان، وبلغه الخبر، فجدّ في السير حتى انتهى إلى سليمان، وتهيّأ لقتاله، فهُزم سليمان ومن معه، وتبعهم جيش مروان فقتلوا منهم ما يقرب من ثلاثين ألفاً. وكان ممن قتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده.

ومضى سليمان كليلاً حتى انتهى إلى حمص، فانضمّ إليه من أُفلت ممن كان معه فعسكر بها، ورمم أسوارها وتحصّن بها.

ووجّه مروان إلى حصن الكامل بعض قواته وتبعهم مروان، فأرسل إلى من في الحصن: أن انزلوا

على حكمي، فقالوا: لا، حتى تؤمننا جميعاً، فدَلَف إليهم، ونصب عليهم المجانيق، فلما بدأ الرمي نزلوا على حكمه، فاحتملهم أهل الرقة وآووهم، وداووا جراحاتهم.

ثم سار مروان إلى حمص حيث يرابط هناك سليمان ومن معه، فلما دنا منهم اجتمعوا، فقال بعضهم لبعضٍ: حتى متى ننهزم من مروان، هلموا فلنتبايع على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعاً، فمضى على ذلك فرسانهم من قد وطّن نفسه على الموت نحو من تسعمائةٍ، وولّى سليمان على شطرهم معاوية السكسكيّ، وعلى الشطر الثاني ثبيتاً البهراني. فتوجّهوا إليه مجتمعين، على أن يُبيّتوه إن أصابوا منه غِرّة، وبلغه خبرهم وما كان منهم، فاستعدّ لهم.

التقى الطرفان، وبرز معاوية السكسكي لأحد فرسان بني سُليم، فتمكّن السّلمي من معاوية السكسكي، وأخذه أسيراً، وأُتي به إلى مروان فقتله.

وأُفلت ثبيت ومن انهزم معه، وأتوا سليمان بن هشام، ورأى سليمان أنه لا طاقة له بمروان، لذا خلّف أخاه سعيد بن هشام في مدينة حمص، ومضى هو إلى تدمر.

نزل مروان على حمص، وحاصرهم عشرة أشهرٍ، ورماها بالمنجنيق، فلما اشتدّ عليهم البلاء سألوه أن يُؤمّنهم على أن يمكّنوه من أميرهم سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان، ورجالٍ آخرين. فوافق مروان، ودخل حمص، ودانت له الشام.

ثم هرب سليمان بن هشام إلى العراق، وأيّد الضحاك بن قيس الخارجي، ولكن الضحاك لم يلبث أن انهزم أمام ابن هبيرة، فسار سليمان بن هشام إلى أبي مسلم الخراساني، وبايعه على الدعوة لبني العباس، فسيّره أبو مسلم مدداً إلى قحطبة بن شبيب الذي يخوض المعارك ضدّ مروان بن محمد. واشترك سليمان في معركة الزاب التي أنهت حكم بني مروان.

وشعر أخيراً سليمان بنية دعاة بني العباس لقتله فهرب إلى الجزيرة، فبعث أبو العباس السفاح بعثين في أثره، فوقع سليمان في الأسر مع ولده، فقتلهما أبو العباس وصلبهما على باب دارة الإمارة بالكوفة.

مقتل الحارث بن سريج:

كان الحارث بن سريج قد رجع من بلاد الترك إلى خراسان بكتاب أمانٍ من يزيد بن الوليد، وجاء

الحارث بن سريج إلى نصر بن سيار.

ولما ولي يزيد بن عمر بن هبيرة العراق كتب إلى نصر بن سيّار بعهده على خراسان، فبايع نصر بن سيّار لمروان بن محمد، فقال الحارث: إنما آمنني يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيز أمان يزيد فلا آمنه، فاختلف نصر بن سيّار والحارث بن سريج، واتفق الكرماني والحارث بن سريج على نصر بن سيّار، ثم عادا فاختلفا، ووقع بينهما قتال، فقتل الحارث بن سريج.

لقد شغلت هذه الأحداث إقليم خراسان مدةً ليست بالقصيرة، وعمّت فيه الفوضى، وسادت العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية.

الخوارج:

عندما قتل الوليد بن يزيد، وبدأ الخلاف، واستعرت الفوضى خرج بالجزيرة سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة بينهم الضحاك بن قيس الشيباني.

وخرج كذلك بسطام البيهسيّ مع ما يقرب من مائتين أيضاً من ربيعة، وكل منهما مخالف للآخر في رأيه، فسار كل واحدٍ منهما إلى صاحبه، والتقى

الجمعان، وانتصر سعيد بن بهدل الشيباني على خصمه، وقُتل بسطام البيهسيّ ومن معه جميعاً إلا أربعة عشر فلحقوا بمروان بن محمد.

ولما بلغ سعيد بن بهدل الشيباني أخبار العراق، وما يجري فيها من خلافٍ، وما يحدث من قتالٍ، فاليمانية من أهل الشام كانوا مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالحيرة، والمضرية كانوا مع النضر بن سعيد الحرشي بالكوفة، ويقتتلون فيما بينهم غدوةً وعشيةً، فسار سعيد بن بهدل الشيباني إلى العراق.

١ ـ الضحاك بن قيس الشيباني:

أُصيب سعيد بن بهدل الشيباني بالطاعون، ومات وكان قد استخلف من بعده الضحاك بن قيس الشيباني.

اجتمع حول الضحاك ما يقرب من ألف شخصٍ فتوجّه بهم نحو الكوفة، ومرّ بأرض الموصل فتبعه منها ومن أهل السواد ما يقرب من ثلاثة آلافٍ، فلما دنا من الكوفة اصطلح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والنضر بن سعيد الحرشي، وأصبحا يداً واحدةً ضدّ الضحاك بن قيس الشيباني بعد أن كانا على خلافٍ، ومعهما من أهل الشام ما يقرب من ثلاثين ألفاً، ومعهم قائد من

أهل قنّسرين يقال له عبّاد بن الغزيّل في ألف فارسٍ، وكان مروان بن محمد قد بعثه دعماً للنضر بن سعيد الحرشيّ.

التقى الفريقان في معركةٍ حاميةٍ قُتل فيها عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وجعفر بن عباس الكندي، وانتصر الخوارج نصراً بيّناً، ولحق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط، ولحق النضر بن سعيد الحرشي وجماعة المضرية وإسماعيل بن عبد الله القسري بمروان بن محمد. واستولى الضحّاك ومن معه على الكوفة وأرضها، وجبوا السواد، وتمكّنوا في المنطقة.

استخلف الضحاك بن قيس الشيباني على الكوفة رجلاً من أصحابه يقال له: مِلْحان، وترك معه مائتي فارسٍ، ومضى هو مع أكثر أصحابه إلى عبد الله بن عمر بواسط، وحاصره بها.

كان مع عبد الله بن عمر قائد من الأشدّاء من أهل قنّسرين يُسمّى عطية الثعلبي، فلما علم بمسير الضحاك بن قيس إلى واسط لحصارها خشي عطية هذا الحصار وما قد سيؤول إليه، لذا خرج في ثمانين من قومه وتوجّه إلى مروان بن محمد، فمّر على القادسية، فبلغ مِلْحان ممرّه، فخرج إليه مسرعاً في ثلاثين فارساً من أصحابه

فقاتله، فانتصر عطية الثعلبي، وقتل مِلْحان وناساً من أصحابه، وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه بمروان.

لحق الضحّاك بن قيس الشيباني عبد الله بن عمر إلى واسط وحاصره فيها، ثم اصطلحا على مخالفة مروان بن محمد، وسار الضحاك يريد مروان فمرّ قرب الموصل، فكاتبه أهلها، فدخلها، وقتل أميرها، واستحوذ عليها، وبلغ الخبر مروان وهو بحمص فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان، وكان الضحاك قد التفّ عليه بمائة وعشرين ألفاً، فحاصروا نصيبين، فبعث مروان في طلب الضحاك، والتقى الفريقان، وجرت معركة حامية قُتل فيها الضحّاك.

وبايع الخوارج الخيبريّ بعد مقتل الضحاك. وحمل الخيبري ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك على مروان بن محمد فهُزم مروان، وهو في القلب، وثبتت ميمنته وعليها ابنه عبد الله بن مروان، وكذلك ثبتت ميسرته وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي. ودخل الخيبري حجرة مروان، وجلس فيها، فهاجمه عسكر مروان وقتلوه، وبلغ الخبر مروان فرجع إلى موقعه، وهُزم أصحاب الخيبري.

بايع الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري بعد مقتل الخيبري، ولاحقهم مروان، والتقى بهم في موقع يُقال له: الكراديس، فقاتلهم به، ثم تبعهم إلى الموصل، فكان القتال بينهم يومياً.

ووجّه مروان بن محمد إلى العراق يزيد بن عمر بن هبيرة لقتال الخوارج فيها، ثم كتب إليه يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبيدة بن سوّار خليفة الضحاك بن قيس الشيباني بالعراق، فسار إليه فلقي خيوله بعين التمر فقاتلهم فهزمهم، وعليهم يومئذٍ المثنى بن عمران من عائذة قريش والحسن بن يزيد، ثم تجمّعوا له بالكوفة بالنخيلة، فهزمهم، ثم اجتمعوا بالصراة، ومعهم عبيدة بن سوّار، فقاتلهم، فقُتِل عبيدة، وهُزم أصحابه، واستباح ابن هبيرة عسكرهم، فلم يكن لهم بقية بالعراق، واستولى ابن هبيرة عليها.

كتب مروان بن محمد إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المرّيّ، فوجّهه إليه في نحو ثمانية آلاف، فبعث إليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري قوّةً إلا أنها هُزمت أمام عامر بن ضبارة، فارتحل الخوارج عن الموصل، وانطلقوا نحو فارس. ووجّه مروان إلى عامر بن ضبارة ثلاثةً من قادته في ثلاثين ألفاً، وأمرهم بملاحقة

الخوارج، فما زالوا وراءهم حتى قُتل شيبان بن عبد العزيز اليشكري، وتفرّق أصحابه، وطويت صفحة الخوارج في العراق وما جاورها، ولكنها ظهرت بقوة في الحجاز.

٢ ـ أبو حمزة الخارجي[١]:

كان يوافي الحج في كل سنةٍ ويدعو الناس في مكة إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان، ولم يزل هكذا حتى التقى بـ (طالب الحق) عبد الله بن يحيى[٢]، فقال له: يا رجل، أسمع كلاماً

---

(١) أبو حمزة الخارجي: المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السَّليميّ البصري، أبو حمزة: ثائر، فتّاك، من الخطباء القادة، من بني سليمة بن مالك، ولد بالبصرة، وأخذ بمذهب الإباضية.

(٢) عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الجندي الحضرمي، أبو يحيى، الملقب بطالب الحق: إمام إباضي من أهل اليمن، كان قاضياً بحضرموت، خلع طاعة مروان بن محمد، وبويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة بعد حروب، وعظم أمره، وتبعه أبو حمزة الخارجي، فوجّه إليهما مروان بن محمد جيشاً بقيادة عبد الملك بن محمد السعدي، فالتقى عبد الملك بأبي حمزة في وادي القرى من أعمال المدينة المنورة فهُزم أبو حمزة وقُتل، وتابع عبد الملك سيره نحو اليمن، فأقبل إليه طالب الحق فالتقيا على مقربةٍ من صنعاء فاقتتلا، فقُتل طالب الحق سنة ١٣٠هـ.

حسناً، وأراك تدعو إلى حقٍ، فانطلق معي، فإني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان بن محمد وآل مروان.

وقد ظهروا يوم عرفة سنة تسعٍ وعشرين ومائة، وعدوهم حوالي سبعمائة، وطلعوا بأعلام وعمائم سود حرقانية في رؤوس الرماح، ففزع الناس حين رأوهم، وقالوا: ما لكم، وما حولكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرؤ منه، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ـ وهو يومئذٍ على مكة والمدينة ـ في الهدنة، فقالوا: نحن بحجّنا أضنّ، ونحن عليه أشحّ، وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعضٍ، حتى ينفر الناس النفر الأخير، فأصبحوا من الغد، فوقفوا على حِدة بعرفة، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، فلما كانوا بمِنى ندّموا عبد الواحد، وقالوا: قد أخطأت فيهم، ولو حملت الحاج عليهم ما كانوا إلا أكلة رأسٍ، فنزل أبو حمزة بقُرين الثعالب، ونزل عبد الواحد منزل السلطان، فبعث عبد الواحد إلى: أبي حمزة عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق،

وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وربيعة بن أبي عبد الرحمن في رجالٍ أمثالهم، فدخلوا على أبي حمزة، وعليه إزار قطنٍ غليظٍ، فتقدّمهم إليه عبد الله بن الحسن بن الحسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو، فنسبهما، فانتسبا له، فعبس في وجوههما، وأظهر الكراهة لهما، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له، فهشّ إليهما، وتبسّم في وجوههما، وقال: والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما، فقال له عبد الله بن الحسن: والله ما جئنا لتفضّل بين آبائنا، ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة ـ وهذا ربيعة يُخبركها ـ فلما ذكر ربيعة نقض العهد، قال بِلج وأبرهة ـ وكانا قائدين له: الساعة الساعة، فأقبل عليهم أبو حمزة، فقال: معاذ الله أن ننقض العهد أو نحبس، لا والله ولو قُطعت رقبتي هذه، ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم. فلما أبى عليهم خرجوا، فأبلغوا عبد الواحد، فلما كان النفر نفر عبد الواحد في النفر الأول، وخلّى مكة لأبي حمزة، فدخلها بغير قتال.

ثم مضى عبد الواحد فدخل المدينة فضرب على الناس البعث، وزادهم في العطاء عشرةً عشرةً. واستعمل على الناس عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا، فلما كانوا بالحّرة لقيتهم جُزُر منحورة فمضوا حتى وصلوا إلى قديد فخرج عليهم أبو حمزة وهم على غير استعدادٍ فقتل منهم ما يقرب من سبعمائة أكثرهم من قريشٍ، وتابع أبو حمزة سيره نحو الشمال فدخل مدينة رسول الله ﷺ، وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام.

ورقي أبو حمزة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء، فأسأتم لعمر الله فيهم القول، وسألناكم: هل يقتلون بالظنّ؟ فقلتم لنا: نعم، وسألناكم: هل يستحلّون المال الحرام والفرج الحرام؟ فقلتم لنا: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلا تنحّوا عنا وعنكم، فقلتم: لا يفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ، فقلتم: لا نقوى، فقلنا لكم: فخلّوا بيننا وبينهم؛ فإن نظفر نعدل في أحكامنا ونحملكم على سُنّة نبيكم ﷺ، ونقسم فيئكم بينكم، فأبيتم،

وقاتلتمونا دونهم، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم.

كان الخوارج حوالي أربعمائةٍ وقد التقوا مع أهل المدينة، فقال لهم الخوارج: إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم، دعونا نمض إلى عدوّنا، فأبى أهل المدينة، فالتقوا يوم الخميس لسبعٍ خلون من شهر صفر سنة ثلاثين ومائة فقُتل من اعترضهم من أهل المدينة لم يفلت منهم إلا الشريد، وقُتل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

وبقي أبو حمزة في المدينة ثلاثة أشهرٍ، وبعث مروان بن محمد إلى أبي حمزة قوةً قوامها أربعة آلافٍ عليهم عبد الملك بن محمد بنِ عطية السعدي، وخرج أبو حمزة من المدينة، وخلّف عليها بعض أصحابه، فسار حتى نزل وادي القرى بالعُلا، فالتقى بخيل مروان، فهزم الخوارج وقُتل أبو حمزة، ورجع أصحابه إلى المدينة مدحورين، فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم.

أقام عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي في المدينة شهراً، ثم مضى إلى مكة، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، وتابع عبد الملك سيره إلى اليمن، واستخلف على مكة رجلاً من أهل الشام يُدعى ابن ماعز.

وبلغ عبد الله بن يحيى، وهو بصنعاء، مسير عبد الملك بن عطية إليه فأقبل إليه بمن معه فالتقيا، فقُتل عبد الله بن يحيى، وبعث ابن عطية ابنه بشيراً إلى مروان، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء.

كتب مروان بن محمد إلى ابن عطية في صنعاء أن يُغِذّ السير ويحجّ بالناس.

إفريقية:

بعد معركة «بقدورة» في أواخر سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة ومقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، فرّ عبد الرحمن بن حبيب[1]، وسار إلى الأندلس، وعمل على أن يتملّكها فلم

---

(١) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري: أمير من الشجعان الدهاة، كان مع أبيه في إفريقية، وقُتل أبوه، فانهزم هو إلى الأندلس وحاول اقتحامها، فلم يفلح، فرجع إلى إفريقية، وأقام بتونس إلى سنة ستٍ وعشرين ومائة فبايعه أهلها، فسار إلى القيروان فملكها، وغزا صقلية، وسردينية، وقاتل الخوارج وأخضعهم، وانتصر على الحركات التي قامت ضده. وقتله أخواه إلياس وعبد الوارث في قصره بالقيروان سنة سبعٍ وثلاثين ومائة، وكانت إمارته عشر سنوات وسبعة أشهرٍ.

يتمكّن. وولي أمر إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي فوجّه إلى الأندلس أبا الخطّار حسام بن ضرار الكلبي فيئس عبد الرحمن بن حبيب مما كان يرجوه فرجع إلى إفريقية، وهو خائف من أبي الخطار، وخرج بتونس في جمادى الأولى سنة ستٍّ وعشرين ومائة - وقد ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة بالشام - فدعا الناس إلى نفسه فأجابوه، فسار بهم إلى القيروان، فأراد من بها قتاله فمنعهم حنظلة - وكان لا يرى القتال إلا لكافرٍ أو خارجي - وأرسل إليه حنظلة رسالةً مع جماعةٍ من أعيان القيروان رؤساء القبائل يدعوه إلى مراجعة الطاعة فقبض عليهم، وأخذهم معه إلى القيروان، وقال: إن رمى أحد من أهل القيروان بحجرٍ قتلت من عندي جميعاً فلم يقاتله أحد، وخرج حنظلة إلى الشام، واستولى عبد الرحمن على القيروان سنة سبعٍ وعشرين ومائة وسائر إفريقية[1].

وبقي عبد الرحمن بن حبيب عشر سنوات وأشهراً، وانتشر في أيامه الطاعون ما يقرب من سبع سنواتٍ، وقامت في وجهه حركات وثورات أهمها

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

حركات الخوارج الإباضية.

الأندلس:

تولى أمر الأندلس في هذه المرحلة:

١ ـ أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي. من ١٢٥ ـ ١٢٨.

٢ ـ ثوابة بن سلمة الجذامي(١). من ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣ ـ عبد الرحمن بن كثير اللخمي. من ١٢٩ ـ ١٢٩.

٤ ـ يوسف بن عبد الرحمن الفهري(٢). من ١٢٩ ـ ١٣٨.

---

(١) ثوابة بن سلمة الجذامي الحداني اليماني: من أمراء العرب في الأندلس. كان مطاعاً في قومه، شجاعاً شريفاً عاقلاً، استعمله أبو الخطار أمير الأندلس على إشبيلية، ثم عزله، فوقع الخلاف بين الاثنين، وجرى القتال، وهُزم أبو الخطار، ودخل ثوابة قرطبة، واستقر بها أميراً، وبقي سنتين أميراً، ثم توفي سنة تسعٍ وعشرين ومائة.

(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري: ولد بالقيروان سنة اثنتين وسبعين، دخل الأندلس مع أبيه، وكان قبل الإمارة يقيم في (إلبيرة)، بعد وفاة ثوابة بن سلمة اختلفت اليمانية والمضرية فيمن يتولّى الإمرة فكل طرف يريدها، ثم اتفقوا على يوسف بن =

اليمامة:

لما قُتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة علي بن المهاجر، استعمله عليها يوسف بن عمر الثقفي، فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحد بني الدؤل من بني حنيفة: اترك لنا بلادنا، فأبى، فجمع له المهير، وسار إليه، وهو بقاع هجر، فالتقوا بالقاع، فانهزم علي بن المهاجر حتى دخل قصره، ثم هرب إلى المدينة، وقتل المهير ناساً من أصحابه.

تسلّم المهير إمرة اليمامة حتى مات بعد مدةٍ قصيرةٍ، واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل، فاستعمل على الفلج المندلث بن إدريس الحنفي فقاتله بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل فقتلوه وأكثر أصحابه، فسار إليهم عبد الله بن النعمان وقهرهم، وتكرر القتال بين الطرفين حتى قدم والياً على اليمامة المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة من قبل أبيه يزيد بن عمر والي العراقين، وبقي حتى قامت الدولة العباسية.

= عبد الرحمن، وبقي أميراً حتى جاء عبد الرحمن الداخل، فقاتله يوسف وانهزم أصحابه، فقتله بعضهم في طليطلة سنة اثنتين وأربعين ومائة.

الفصل الثالث

المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة

إن تعاليم الإسلام لو طُبّقت بحقٍّ على مجتمعٍ من المجتمعات لعاش ذاك المجتمع براحةٍ تامةٍ، وسعادةٍ حقّةٍ، وطمأنينةٍ عاليةٍ، حيث لا غلّ ولا حقد، ولا حسد ولا تباغض، بل محبة ورأفة، وتعاون وأمل. طاعة من الرعية، ورعاية من الراعي، وقار من الصغير، وعطف من الكبير، وحرث في الدنيا وزرع للآخرة، وهذا أبعد أملٍ، وأقصى غايةٍ، وأعظم فوزٍ، وأكبر حلمٍ.

وما هذا بكلامٍ نظريٍّ، ولا بقول متعصّبٍ لعقيدته، ولا بحلم متفلسفٍ، بل بقول من فكّر بالماضي، ودرس تطبيق تعاليم الإسلام على المجتمع أيام رسول الله ﷺ، وأيام صحابته الكرام، وعرف الأثر العظيم على أولئك الأجلّاء، والحياة الفاضلة التي

عاشوها، والمجتمع المثالي الذي بنوه، والأخوة الحقة التي ظلّلتهم، والسعادة التي غمرتهم، والأمة التي عاشوا في كنفها، والديار التي كانوا في ربوعها، وما خلّد التاريخ من تلك الآثار الإنسانية.

وإذا كانت قد وقعت بعض الخلافات في الاجتهاد فنفخ فيها أولئك المارقون فجعلوا منها أحقاداً في النفوس، وصاغوا منها فِرقاً ومذاهب، واستمرّوا يُردّدونها مع الزمن ليبقى الخلاف ويبقى الانشقاق، ويستمرّ النزاع، ويجري الصراع. ويُجيب الواقع بكذب المارقين، ويُجيب عليّ، ويُجيب معاوية رضي الله عنهما، بأخوة الإسلام، وافتراء الظالمين. في أشدّ ساعات الخلاف يسأل معاوية علياً ويستفتيه، ويُجيب عليّ معاوية بعلمٍ ويهديه، ويتقيّد معاوية بما يأتيه من عليٍ ولا يقبل به بديلاً، وهذا دليل على اعتراف معاوية بفضل عليٍ وعلمه، وحبّه وتقديره. وفي أحلك أوقات الصراع يحين وقت الفريضة وربما وقف المؤمنون ليُؤدّوا ما فُرض عليهم، ويؤم عليّ جماعةً من كلا الفريقين، فهو لهم إمام، وقد ارتضوه لذلك، وتنتهي العبادة، ويعود الخلاف في وجهات النظر، ويرجع كل إلى موقعه. فهل هذا أكثر من خلافٍ في وجهات النظر؟

فالعقيدة واحدة والمحبة قائمة. ورضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ جميعاً، وسحقاً لأولئك المفترين، المارقين، النافخين في الأحداث الذين أسلموا بألسنتهم، ولم تُؤمن قلوبهم.

واستمرّ المجتمع الإسلامي سليماً نظيفاً أيام صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وإن وقعت خلافات في وجهات النظر، وحدث تباين في بعض الاجتهادات، وربما زاد الخلاف في بعض الأحيان عما يجب أن يكون فوقع نزاع وربما تفاقم إلى صراعٍ، ولكن دون أن يُخرج أحدهما الآخر عن الدين أو يلقي باتّهاماتٍ جائرةٍ ضد خصمه، فالخلافات في الاجتهاد، وتباين في وجهات النظر، وهي ضمن حدود الدين، وفي إطاره العام.

وبُسطت الدنيا على المسلمين؛ فالفتوحات أتت بالغنائم الوفيرة وبالسبي الكثير. وعمل الموالي بالأرض فأعطت الإنتاج الكبير. غير أن كل شيءٍ كان يصرف بوجهه الشرعي ما دام التمسّك بالإسلام هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع.

وأخلد الناس إلى الأرض، وتراخت العزائم، وفترت الهمم، وضعُف أمر الجهاد، ولم يعد هناك من

شغلٍ محرّكٍ، فالمال متوفّر؛ فالأُعطيات جيدة مما بقي من الغزو، والموالي يعملون بالأرض وبمختلف المهن، ويجلبون المال، ويقدّمون الغذاء، والنساء لا يعملن في البيوت إذ الجواري يقمن بما تحتاجه المنازل، ويتكفّلن بكل ما تقوم به ربّات البيوت. إضافةً إلى أن الرجل لا يُفكّر بالمرأة كثيراً، بل لا تأخذ حيّزاً من تفكيره إذ الجواري أمامه كثيرات، وهنّ ملك يمينه، وعندهن الوقت الكثير للتجمّل له، ولإغرائه من عباراتٍ وشعرٍ، وحُسْنِ أداءٍ. ويتزوّج الرجل من عقائل قريش للنسب وربما للفخر أحياناً.

وعن هذا الفراغ الشامل ينشأ:

أ ـ اللهو:

والدواعي له متوفّرة فالجواري كثيرات، وعندهن متّسع من الوقت لحفظ ما يُغري من الشعر، وما يُثير من عباراتٍ، وما يُلفت النظر من حُسْن أداء، إذ تريد كل جاريةٍ أن تنال حظاً أوفر من الأخرى من سيّدها الذي يكثرن فوق بساطه. وبمقدار ما تُجيد الواحدة منهن تأخذ مكانتها، وتحظى مما تشتهي، وهنّ من جنسياتٍ مختلفة، ولكل شعبٍ ميزات.

ويكون هذا اللهو عند مختلف المستويات، غير أنه يلفت النظر عندما يكون لدى المستويات العليا، لذا يكون النقد شديداً، وقد رأينا ما أثاره لهو الوليد بن يزيد حتى جرّ إليه حتفه بعد أن سلب منه سلطانه، وهذا يحدث في كل وقتٍ.

وغالباً ما يكون النقد من الذين يرون في اللهو مفسدةً كبيرةً تأخذ بالأمة نحو الهاوية لما يحدث بسببه من مفاسد، وفوضى، وإهمال. ويجب ملاحظة أنه يمكن كسب هؤلاء الناقدين إلى كل اتجاهٍ مجرد تأييد نقدهم وتفنيد مخاطر اللهو. وهؤلاء ليسوا جماعةً قليلةً بل كثيرة إن لم نقل هم غالبية المجتمع يومذاك.

ب ـ العصبية:

إن الفراغ يدعو للتباهي بالماضي، والفخر بالقبيلة، والحديث عن الأحساب، وهذا ما يُؤدّي إلى العصبية الجاهلية، والنعرة القبيلية، وخاصةً عندما يبرز أحد الرجالات من مجموعةٍ مُعيّنةٍ، وهذا ما وقع عندما برز المهلب بن أبي صفرة، وما كان له من دورٍ في القضاء على الخوارج، وفي الجهاد، وكذا ظهور أبنائه من بعده، وما عُرفوا به مِنْ جودٍ وكرمٍ، ثم ظهر

خالد بن عبد الله القسري، وإمرته على المشرق كله. وكل هؤلاء من اليمانية فظهرت النزعة إلى اليمانية كنوعٍ من العاطفة ثم أخذت شكل العصبية الجاهلية، وظهر ردّ الفعل من القيسية، وأخذت هذه الفتنة تظهر بين المدة والأخرى هنا وهناك، وإن برزت بشكلٍ واضح وعنيف في المشرق عامةً وفي خراسان خاصةً لوجود من يُثيرها، ويستغلّها، ويستفيد منها.

ولما كانت هذه النزعة العصبية مخالفةً للإسلام بل هي جاهلية، لذا فهي تجد نقداً بالغاً من غالبية المجتمع باستثناء أبنائها. وكما يمكن استغلال أصحاب هذه العصبية يمكن أيضاً الإفادة من الذين ينتقدونها بتبيان أخطارها، وسوء نتائجها، ومخالفتها للشرع.

إذن توجد جماعة ثالثة، تنتقد ما حدث في المجتمع من لهوٍ، وما انتشر فيه من نزعاتٍ عصبيةٍ، وهذا النقد حفاظاً على سلامة المجتمع الإسلامي ومحاولةً لاستمرار ما في هذا المجتمع من جوانب فاضلةٍ، ومحافظةً على بقاء تعاليم الإسلام سائدةً فيه.

ومما آل إليه المجتمع من إخلادٍ إلى الأرض، وبرودٍ في الهمم، وفتنٍ عصبيةٍ، وفراغٍ، ولهوٍ، ومما أدّى إلى نقد هذا تحرّكت مجموعتان، ونشطتا في الحركة، وهما:

١" ـ الخوارج:

فرقة ظهرت في أواخر العهد الراشدي تُكفّر مرتكب الكبيرة، وتستبيح دم المسلمين الذين لا يرون رأيها، وتتحرّك تحت شعار الدعوة إلى الشورى، وقد عانى المسلمون منها الويلات، وأُصيبوا بنكبات، وقاتلها المسلمون حتى خضدوا شوكتها.

فلما اهتزّ المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة من جديدٍ تحرّكت هذه الفرقة، ووقع على يدها جرائم ما قد ذكرنا، فزاد المجتمع ضعفاً واهتزازاً.

ولا شك أن شعار الدعوة إلى الشورى بعد الذي جرى في المجتمع ما جرى، والاندفاع نحو المبدأ بصدقٍ، والقتال والاستماتة في سبيل ذلك، وإحراز بعض الانتصارات رغم التفاوت في أعداد المقاتلين بين الطرفين، كل ذلك جعل آذاناً صاغيةً لهذه الفرقة، وتأييداً من بعض الناقمين، وهذا ما أدّى إلى قوة هذه الفرقة وجعلها تستطيع هزّ المجتمع وتحريكه.

٢" ـ المتلوّنون (الحاقدون):

وهي فرقة ظهرت في وقتٍ مبكرٍ من صدر الإسلام، وهي فرقة معادية للإسلام، وتأخذ لوناً حسب

الظرف الذي تعمل فيه. فمنذ أن انتصر الإسلام على دولة الفرس، وقضى على الديانة المجوسية، أخذت العصبية بعض أتباع تلك الديانة، وحملوا حقداً شديداً على الإسلام وأتباعه، لكنهم وجدوا قوة الإسلام، وعرفوا أنهم لا يمكنهم الوقوف في وجهه، فرأوا أن أفضل سبيلٍ للعمل ضد الإسلام هو إظهار الإسلام والعمل على الهدم من الداخل، ومحاولة تجزئة الصف الإسلامي. وهكذا كان مخططهم، وقد ساروا وفق منهجه.

بدأوا العمل بحذرٍ تامٍ، وبسريةٍ كاملةٍ، يشيعون الشائعات على الخلفاء بصفتهم يمثّلون الإسلام، ويُعدّون قادة المسلمين، ويُثيرون الأراجيف حولهم، ويحاولون التنظيم الدقيق، وبدأوا جرائمهم بقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

وعندما تولّى الخلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أخذوا يفترون عليه، فادعوا أنه يعطي أقرباءه من بيت المال، ويُسلّم بعضهم الولايات، رغم أن عثمان، رضي الله عنه، كان ذا ثروةٍ، وكان يُعطي ذويه المال من ثروته الخاصة، ثم إن الولاة الذين كانوا أيامه كان قد ولّاهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قبله وقد

انخرط بعض هؤلاء المتلوّنين في حركة الشغب التي قامت ضد عثمان، رضي الله عنه، وكان لهم دور في مقتله، رضي الله عنه.

لم يجد هؤلاء الحاقدون أثراً كبيراً في المجتمع الإسلامي بقتل الخلفاء سوى الأسى والحزن، لذا وجدوا أن عليهم أن يحاولوا العمل في هدم العقيدة التي هي أساس قوة المسلمين وعامل وحدتهم، فعندما تولّى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الخلافة أخذوا في القول بتفضيله على بقية الصحابة، ثم أحقيّة خلافته قبل غيره لقرابته، وفضله، وعلمه، إلّا أن غيره قد غصب حقه، ولم يكن عليّ، رضي الله عنه، أحبّ من غيره عندهم أبداً فليس هو سوى أحد المسلمين وربما كان غيره أقلّ شرّاً، منه بالنسبة لهم لموقعه من رسول الله ﷺ ولدوره في الجهاد ونصرة الإسلام، إلا أن المخطط يقتضي إظهار ذلك. ثم زاد الأمر فأصبح عليّ، رضي الله عنه، عندهم هو الإمام دون سواه، ويجب أن تكون الأئمة في أبنائه من بعده، ومخصصة في أحدهم، وهو الحسين، رضي الله عنه، حيث أن إحدى زوجاته تعود إلى أرومة المجوس، وهي التي أنجبت علي (زين العابدين)، وبذا ضُرب صفحاً عن

الحسن، رضي الله عنه، وغيره من أبناء علي، رضي الله عنه. ثم زاد الأمر فجعلوا من علي، رضي الله عنه، كائناً فوق مستوى البشر، كنوعٍ من التهديم في العقيدة، تقليداً لما قالته النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام. ولم يكن هؤلاء الحاقدون في منأى عن التحريض سرّاً في قتل علي، رضي الله عنه.

ثم آل أمر الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، وغدت بعد ذلك وراثيةً في بني أمية، فكان مخالفةً للبعد عن الشورى، وكان النقد، فاستغلّ هؤلاء المتلوّنون الحاقدون ذلك ووجّهوا سهاماً مسمومةً على بني أمية لا بصفتهم أحد بطون قريشٍ، ولا بصفتهم أحد أفخاذ بني عبد مناف الذين كانت رسالة الإسلام في أحدهم بل بصفتهم الخلفاء، ويمثّلون الإسلام، وهم من قادة المسلمين.

وتحرّك هؤلاء المتلوّنون الحاقدون سرّاً، ونشطوا خفيةً، ودفعوا أحد أبناء عليّ، رضي الله عنه، وهو الحسين بن علي، رضي الله عنهما، فخُدع واندفع، حتى إذا خرج، والتقى السيف بالسيف خذلوه وأسلموه فقُتل، رضي الله عنه، فجُعل من مصرعه مناحاً ومأتماً لا نظير له في الدنيا، وأظهروا الندم على ما وقع

اعترافاً صريحاً منهم بخذلانه وتسليمه بعد التخلّي عنه. أبدوا الحزن والأسى والجزع الشديد، وأظهروا أثر الفاجعة العظيم على الأمة، والخسارة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين بفقدان أحد أئمتها، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ ثانيةٍ فقد شُنّ هجوم عنيف على الخليفة، وحمّلوه المسؤولية، وبثّوا الشائعات ضدّه، واتّهموه بالفسوق والمروق سعياً وراء انقسام المجتمع. ووضعت القصص الغريبة الخارجة عن حدود العقل، فكان للحسين، رضي الله عنه، أكثر من رأسٍ، واحد وصل إلى دمشق، وآخر انتقل إلى مصر، وهناك عدة أجسام كذلك، كل في جهةٍ، بل وانتقل الأمر إلى أخته زينب بنت عليٍّ، رضي الله عنهما، فهناك عدة زينبات في أماكن متعددةٍ. ولكثرة إشاعة نقل رأس الحسين بن عليٍّ، رضي الله عنهما، أصبح نقل رأس القائد أمراً طبيعياً، وإن لم يتمّ فعلاً، فالشائعات تنقله.

ووُجّهت السهام المسمومة ضد الخلفاء من بني أمية، وروّجت الشائعات، وكثرت الافتراءات، ودُوّنت الكتب، ودُسّت الأكاذيب ضمن الأحداث حتى غدا تاريخ هذه المرحلة مشوّهاً، ليس فيه ما يُعتزّ به، وهذا أحد أغراض المتلوّنين.

وما قامت حركة، ولا ظهرت دعوة إلا وكان فريق من هؤلاء المتلوّنين بين أفرادها، يُشيعون الشائعات، ويفترون الأكاذيب، ويُحرّضون على الخصم الآني، ويُظهرون الصدق والإخلاص، ويرفعون من شأن من يسيرون تحت رايته حتى يصلوا إلى بعض أهدافهم، وإخوانهم من خلفهم يمدّونهم بالغيّ.

ظهرت الدعوة العباسية فانخرطت جماعة من هؤلاء المتلوّنين بين صفوفها، فإذا ببني العباس هم آل البيت وحدهم، وهم ورثة الإمامة، وهم أصحاب الحقّ الشرعيّ، وأظهر المتلوّنون الحماسة لبني العباس، وأبدوا إخلاصهم لهم، وكانوا في المقدمة، وتقدّموا كوقودٍ في أتون المعركة المتوقعة.

وشاءت إرادة الله أن يظفر بنو العباس بما عملوا له، وتسلّموا الخلافة، وآل الأمر إليهم، وأصبحوا يُمثّلون الإسلام، ومن قادة المسلمين. فإذا بالسهام المسمومة التي كان المتلوّنون يُوجّهونها إلى خلفاء بني أمية أصبحت تُوجّه إلى خلفاء بني العباس. وإذا كانت تُوجّه بالأمس باسم العباسيين إذ بها تُوجّه اليوم باسم الطالبيين، واستمرّ ذلك التراشق بالسهام، واستمرّ بثّ الشائعات ضدّ الخلفاء، واستمرّت الحركات باسم

الطالبيين ضدّ العباسيين مدة العهد العباسيّ كله، وقد هزّوا كيانه، وعملوا على ضعف الخلافة، ووقعت النكبات. ولو أراد الله للطالبيين النجاح، وتسلّموا الخلافة، لوُجِّهت السهام المسمومة نفسها إليهم، إذ أن أصحابها المتلوّنين ليسوا أصحاب مبدأ، وهم ليسوا أنصار عباسيين أو طالبيين بل هم ضدّ الإسلام أولاً وآخراً، وتُوجّه السهام على من يُمثّله سواء أكانوا أمويين أم عباسيين أم طالبيين أم...

وأخيراً فإن فريقاً من هؤلاء المتلوّنين قد ساعدوا المغول ضدّ العباسيين، وأعانوهم على دخول بغداد مع أنهم يحملون اسم الإسلام، ويظهرونه بألسنتهم ـ والله أعلم ما يُخفون ـ. وقد كان هؤلاء المتلوّنون بلاءً في المجتمع في هذه المرحلة، وفي غيرها من مراحل التاريخ الإسلامي، إنهم يظهرون في كل وقتٍ بلونٍ، هدفهم الأول والأخير محاربة الإسلام والعمل على إضعافه، ثم ضربه والإطاحة به. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

الفصل الرابع

الدعوة العبّاسيّة

أخذت الدعوة العباسيّة بالنمو والتوسّع في المرحلة الأخيرة من عهد بني أُميّة، وكان هذا النمو والتوسّع يعود إلى تأييد عدة شرائح من المجتمع أولاً، ثم إلى الدقة والتنظيم اللذين امتازت بهما، ثم إلى تجمّع كثيرٍ من المؤيّدين في إقليمٍ واحدٍ هو خراسان فكان مركز الثقل، ومنه انطلقت القوة، وأخذت تسيطر على منطقةٍ بعد منطقةٍ. أما فئات المجتمع التي أيّدت الدعوة فهي:

١" ـ **جماعة من آل العباس**، رضي الله عنه. وهم رأس الدعوة، وقد اتجهت الأنظار إليهم بصفتهم من آل بيت رسول الله ﷺ ولهذا أثره الواضح في المجتمع الإسلامي، وفي الوقت نفسه هم بعيدون عن الساحة السياسية، لا تلتفت نحوهم الأنظار أو بالاصطلاح السياسي الحديث: غير خاضعين لرقابة السلطة

الحاكمة. وهذا ما جعل أبا هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب[1] يلجأ إلى أحدهم وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[2] بالحميمة.

وكان أبو هاشم رأس الكيسانية، ويعمل لنفسه، فلما أقام عند محمد بن علي بن عبد الله، وأحسّ بدنو أجله، أعطاه سرّ عمله، وكلّفه بالعمل لبني هاشم، وفي الوقت نفسه أخبر رؤوس جماعته بأنه سيوكل الأمر إلى محمد بن علي لتطمئن النفوس، وتتوفّر الثقة، ويُعرف المرجع.

وما أن مات أبو هاشم حتى أسرع المتلوّنون إلى محمد بن علي، وقالوا له: إن وفاة أبي هاشم إنما

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، أبو هاشم، ومحمد بن علي هو المشهور محمد ابن الحنفية لأن أمه من بني حنيفة: وأم عبد الله أم ولد، وليس له عقب، مات سنة ثمان وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك عند محمد بن علي، وقد أوصاه للعمل لبني هاشم، فقام بالأمر. روى عن أبيه حديث تحريم المتعة، وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار.

(٢) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ولد بالحميمة من أعمال الأردن سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد بن معاوية، نظم عمل الدعوة لبني العباس، وتوفي سنة خمس وعشرين ومائة، كان طويلاً جميلاً، وهو والد الخليفتين السفاح والمنصور.

كانت نتيجة دسّ السمّ له، إذ أرسل الخليفة سليمان بن عبد الملك رجلاً وضع له السمّ في الطعام. وهدف هذه الفرية أن توغر صدر محمد بن علي على الخليفة وخاصةً أن أبا هاشم ضيفه، وقُتل ـ بزعمهم ـ في بيته، وأن تزيد النقمة على بني أمية لهذه الأساليب، وأن تجعل محمد بن علي يحذر بني أمية ويخشاهم. وهذه الفرية إنما هي من الوسائل التي يتخذها المغرضون للاقتراب من هدفهم، وهو تفرقة المسلمين، والعمل على تهديم العقيدة.

ولكن آل العباس يعلمون كما يعلم غيرهم من المسلمين أن الخلافة ليست وراثيةً، وليست محصورةً في آل البيت أو غيرهم، بل هي شورى بين المسلمين جميعاً، وأهل الحلّ والعقد هم الذين يختارون الخليفة من بين المؤهّلين لها. ولا يمكن أن ينتقدوا وراثة بني أمية للخلافة ثم يدعون إلى وراثتها في آل البيت، لذا كانوا يقولون: «الرضا من آل البيت». وكان يشجعهم إلى الدعوة وقف الجهاد، والإخلاد إلى الأرض، وضعف الخلفاء في هذه المرحلة، والنزاع بينهم، وضعف هيبة الخلافة أمام الأعداء، وإن أقوال المتلوّنين، وكثرة مديحهم، ووضع الروايات في

أحقيتهم تجعلهم أميل إلى التصديق، وضرورة العمل لأنفسهم. وأن استمرار الوضع على هذه الحالة سيؤدّي إلى نتائج خطيرة جداً بالنسبة إلى الأمة لذا لا بدّ من العمل، والدعوة إلى التغيير، وإن كان منظماً إلا أنه سريّ تماماً، خوفاً من أن يؤول الأمر إلى خطر.

٢" - جماعة من أهل العلم والصلاح الذين يرون توقّف الدعوة إلى الله ووقف انتشار الإسلام، وظهور اللهو، والاستهتار ببعض الأحكام، والتوجّه نحو متاع الدنيا وزينتها.

وكان أهل العلم يقومون بواجب النصح، ويستمع إليهم الكثير من أفراد المجتمع إذ لأهل العلم مكانتهم، وقولهم مسموع. فهؤلاء وإن لم ينضمّوا إلى الدعوة العباسية أو إلى التغيير إلا أن أقوالهم تصبّ والدعوة العباسية في مصبٍّ واحدٍ، وتعدّ تأييداً غير مباشرٍ، ودعماً ضمنياً.

٣" - أصحاب المصالح: الطامعون ببعض الأغراض، والناقمون لبعض الأسباب، فتدفعهم مصالحهم لبثّ الشائعات ضد بني أمية، وتأييد العمل لآخرين أيّاً كان انتماؤهم، وهؤلاء لا يخلو منهم مجتمع، إذ هناك من يرى أنه لا يمكنه أن يطفو على

السطح إلا بوقوع الخلافات وحدوث النزاعات.

٤" ـ **أصحاب العصبيات**: لما كانت العصبيات الجاهلية قد انتشرت، وقامت الفتن نتيجة ذلك فإن الوالي في إقليمٍ من الأقاليم إذا كان من جماعةٍ معينةٍ فإن الجماعة الأخرى تعمل ضدّه مباشرةً، وتؤيّد المخالفين، ولما كان أكثر ولاة المشرق من القيسية وخاصةً خراسان التي تولّى أمرها كل هذه المرحلة نصر بن سيّار وهو من القيسية، لذا فإن اليمانية قد وقفت في الطرف الآخر المقابل ودعمت أعوان الدعوة العباسية بشكلٍ من الأشكال. وعوضاً من أن يعمل نصر بن سيّار على استمالة اليمانية ومحاولة استرضائهم كان يقف منهم موقف ردّ الفعل بإظهار العصبية القيسية فما يزيد اليمانية ذلك إلا تماسكاً وتعصّباً، وبدلاً من أن يدعو بني أمية لإحداث توازنٍ كان يُلقي صيحاتٍ تظهر منها رائحة العصبية، وهذا ما جعل بقاء اليمانية إلى جانب الحركة المعادية، ومن هذه الصيحات:

أبلغ ربيعة من مروٍ وإخوتهم
فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
حرباً يحرّق في حافاتها الحطب

وأطلق أيضاً:

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه
وقد تبيّنت أن لا خير في الكذب
إن خراسان أرض قد رأيت بها
بيضاً لو أفرخ قد حُدِّثتَ بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت
ولم يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزغب
فإن يَطِرْنَ ولم يُحْتل لهن بها
يُلْهِبْنَ نيرانَ حربٍ أيّما لهب

ويزيد هو يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراقين، وهو من القيسية أيضاً.

٥" ـ المتلوّنون: عناصر غريبة عن المجتمع معادية له، دخلت بين أفراده بإظهار الإسلام، وأخفت ما كانت تعتقد، وهدفها إعمال معاولها بالهدم من الداخل، ومحاولة تجزئة المجتمع في سبيل إضعافه، فإذا تمّ لها ما أرادت انقضت عليه لإحياء عقيدتها التي أتى عليها الإسلام، وإعادة قومها الذين قضى عليهم المسلمون. فكانت هذه العناصر تدخل في كل حركةٍ معاديةٍ للخلافة الإسلامية تأخذ لون تلك الحركة، وتدّعي العمل معها، تُظهر الإخلاص وتُبالغ فيه، وتُبدي

الصدق وتُغالي حتى لا يشكّ أحد في نواياها، ولا تخامر أحداً نفسه في أهدافها.

كان المتلوّنون وراء كل حركةٍ قامت في ديار الإسلام، وانخرط بعضهم في صفوف تلك الحركات ليكون لهم دور في التوجيه نحو الهدف أو ركوب دفّة القيادة إن أمكن ذلك.

لقد عمل هؤلاء المتلوّنون بحذرٍ شديدٍ وبخفيةٍ تامةٍ في العهد الراشدي، وحقّقوا بعض الأهداف السياسية، وهي خطيرة وإن كانت دون الأهداف العقدية.

وجنّدوا إمكاناتهم في العهد الأموي، وعملوا على مختلف المحاور، فوقعت فتن، وبثّوا الشائعات، وعملوا تحت ظلّ آل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فاختلقوا الروايات الكاذبة التي ترفع من مكانة آل عليٍّ، رضي الله عنه، فوق مستوى البشر كنوعٍ من العمل على إفساد العقيدة.

ثم عملوا تحت ظلّ الدعوة العباسية، وطعنوا في بني أمية طعناتٍ قاتلةٍ، وافتروا افتراءاتٍ، وبثّوا شائعاتٍ، وما ذلك إلا لأنهم خلفاء يُمثّلون الإسلام،

وإلا لا فرق عندهم بين بني أمية وغيرهم إذ هم أعداء للجميع ما داموا مسلمين. وأظهروا اندفاعهم وراء الدعوة العباسية، وإخلاصهم لها، وصدقهم مع رجالها. حتى إذا نجحت الدعوة العباسية، وآلت الخلافة إلى رجالاتها، وأصبحوا يُمثّلون الإسلام، قلبوا لهم ظهر المجن، ووجّهوا إليهم السهام نفسها التي كانوا يُوجّهونها لبني أمية، وأخذوا يعملون تحت ظلّ الدعوة إلى الطالبيين، وباسم رجالاتهم، مع القيام ببعض الحركات، وإشعال بعض الثورات ضدّ العباسيين بل الخروج أحياناً ببعض الحركات التي تدعو صراحةً إلى عقيدة قومهم السابقة، وهي المجوسية فظهروا باسم الخرّميّة، والمزدكية، والمانوية و. . .

واستمرّ المتلوّنون يعملون باسم الطالبيين طيلة العهد العباسي، ولم يتمكّنوا من تحقيق النجاح، ولو قُدّر لهم النجاح، وفاز الطالبيون، وتسلّموا الخلافة لوُجّهت إليهم السهام التي وجّهت للعباسيين ومن قبلهم للأمويين بصفتهم الخلفاء الذين يُمثّلون الإسلام.

ولما لم يظفر الطالبيون بمطالبهم ولم يتسلّموا الخلافة، لذا بقي المتلوّنون مرتبطين بهم، ويحملون شعارهم، ويعرفون باسم «شيعة عليٍّ» رضي الله عن

عليٍّ وآله، وهم من المتلوّنين برءاء.

وفي هذه المدة الطويلة التي عمل فيها المتلوّنون باسم الطالبيين اختاروا لأنفسهم أئمةً، وصاغوا آراءً حولهم، وأوجدوا أفكاراً خاصةً بهم تقترب أحياناً وتبتعد أخرى عن الأصول الإسلامية. واخترعوا لها صيغةً بقيت مرتبطةً بهم على مدى التاريخ.

ولما طالت المدة وبَعُد أمل المتلوّنين في تقويض الخلافة العباسية واستبدالها بخلافة للطالبيين، وجاء الغزو المغولي، تقرّب المتلوّنون من المغول، وأضافوا جهدهم إليهم في توجيه الطعنة إلى المسلمين، فسقطت بغداد قاعدة الخلافة العباسية بيد المغول سنة ستٍ وخمسين وستمائة.

نشاط الدعوة:

وجّه محمد بن علي إلى العراق ميسرة، ووجّه محمد بن خنيس، وأبا عكرمة السراج، وحيّان العطار إلى خراسان، وأمرهم بالدعاء له ولأهل بيته.

واختار أبو عكرمة السراج اثني عشر نقيباً، وسبعين من الدعاة.

وأرسل محمد بن علي إلى خراسان بكير بن

ماهان، وقد اشترى أبا مسلم الخراساني بأربعمائة درهم من عيسى بن معقل العجلي.

وكان غلام أحد السراجين، وخرج به معه، وكان يتباكى عندما يسمع آل العباس.

وكان النقباء في الدعوة يجمعون خمس الأموال من أتباعهم، ويحملونها إلى الإمام، وهو يتصرّف في إنفاقها على بثّ الدعاة، وما يرى المصلحة فيه.

كان أسلوب الدعوة تنفير الناس من بني أمية وعمالهم، وبثّ الشائعات ضدهم، والافتراءات عليهم، ورفع مكانة بني العباس والثناء عليهم، وإظهار أهليتهم للخلافة بل واجب قيامهم بالأمر، والدعوة لهم.

وتوفي محمد بن علي سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وأوصى من بعده لابنه إبراهيم بن محمد.

أرسل إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان فأبدى نشاطاً، وأثار النعرات العصبية، ومالأ كلاً منها حتى غدا صاحب مكانةٍ، وكثر أتباعه، وزاد تردداه على خراسان.

وفي سنة تسعٍ وعشرين ومائة كتب سليمان بن كثير إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى

إبراهيم بن محمد يسأله أن يوجّه رجلاً من أهل بيته إلى خراسان، فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم بن محمد، فبعث أبا مسلم.

قضى أبو مسلم مدةً في خراسان، ثم جاءه كتاب من إبراهيم بن محمد يأمره فيه بالقدوم إليه ليسأله عن أخبار الناس، فخرج في منتصف جمادى الآخرة سنة تسعٍ وعشرين ومائة مع سبعين رجلاً من كبار أتباعه، فمرّوا على (أبيورد)، ثم على (نسا)، فكان أبو مسلم يتقصّى الأخبار، ويتتبع الآثار، فلما وصل إلى (قومس) أتاه كتاب من إبراهيم بن محمد، يقول له فيه: إني قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفاك كتابي، ووجّه إليّ قحطبة بما معك يوافني به في الموسم. فرجع أبو مسلم إلى خراسان، ووجّه قحطبة بن شبيب إلى إبراهيم بن محمد.

وصل أبو مسلم إلى مرو عائداً من طريقه يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من شهر شعبان سنة تسعٍ وعشرين ومائة. فنزل قرية أحد النقباء، ومنها وجّه رجاله إلى (طخارستان) و(مرو الروذ) و(القالقان) و(خُوارزم)، ووعدهم على إظهار الدعوة في شهر رمضان لخمسٍ بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوّهم دون الوقت،

فعرض لهم بالأذى والمكروه فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يُظهروا السيوف من أغمادها ويُجاهدوا أعداء الله، ومن شغلهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت.

تحوّل أبو مسلم عن منزله الذي كان ينزل به وهو دار أبي الحكم عيسى بن أعين، ونزل على سليمان بن كثير الخزاعي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة تسعٍ وعشرين ومائة. فلما كانت ليلة الخميس لخمسٍ بقين من شهر رمضان عقدوا اللواء الذي بعث به إبراهيم بن محمد، والذي يُدعى الظلّ، على رمحٍ طوله أربعة عشر ذراعاً، كما عقدوا الراية التي بعث بها إبراهيم بن محمد أيضاً وتُدعى السحاب، على رمحٍ طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وخرج أبو مسلم، وهو يتلو ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾. ولبس السواد هو وسليمان بن كثير وأتباعهم، وأوقدوا النار.

فلما كان العيد أمر أبو مسلم سليمانَ بن كثير أن يصلي بالناس، ثم حضروا طعاماً أعدّه لهم أبو مسلم. وكذلك غلب خازم بن خزيمة على مرو الروذ، وقتل بشر بن جعفر السعدي عامل نصر بن سيّار عليها.

لما ظهر أبو مسلم جعل أهل مرو يأتونه، ولا

يتعرّض لهم نصر بن سيّار ولا يمنعهم. وكان شيبان الخارجي وعلي بن الكرماني لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان بن محمد. فأرسل نصر إلى شيبان: إن شئت فكفّ عني حتى أقاتله، وإن شئت فجامعني على حربه حتى أقتله أو أنفيه، ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه، فهمّ شيبان أن يفعل، فأتت عيون أبي مسلم فأخبروه، فكتبوا إلى عليّ بن الكرماني: إنك موتور، قُتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأي شيبان، وإنما تقاتل لثأرك، فامنع شيبان من صلح نصر، فدخل على شيبان، فكلمه فثناه عن رأيه، فأرسل نصر إلى شيبان: إنك المغرور، وأيم الله ليتفاقمنّ هذا الأمر حتى يستصغر في جنبه كل كبير.

بعث أبو مسلم إلى هراة النضر بن نُعيم الضبيّ وعليها عيسى بن عقيل الليثي، فدخل النضر هراة، وهرب عيسى منهزماً إلى نصر.

وادع شيبان نصراً، ورفض علي بن الكرماني ذلك، وعاد القتال بين نصر وابن الكرماني، وأبى شيبان أن يعاون ابن الكرماني، فأرسل ابن الكرماني إلى أبي مسلم يستنصره على نصر بن سيّار، فأرسل أبو مسلم إلى ابن الكرماني شبل بن طهمان: إني معك على

نصر، فقال ابن الكرماني: إني أحبّ أن يلقاني أبو مسلم، فأبلغه ذلك شبل، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يوماً، ثم سار إلى ابن الكرماني، فأقام عنده يومين، ثم رجع إلى عسكره، وذلك لخمسٍ خلون من المحرم سنة ثلاثين ومائة.

كان ابن الكرماني قد قتل الحارث بن سريج، وأصبح سيد مرو حتى اضطر نصر بن سيّار أن يُغادرها غير أن القتال لم يخمد بين نصر وابن الكرماني، فلما رأى أبو مسلم ذلك اتخذ الحيل، فكان يكتب الكتاب إلى شيبان الخارجي ويطلب من حامله أن يمرّ على اليمانيّة وفي الكتاب ذمّ بالمضريّة، ويرسل بكتابٍ آخر عن طريق آخر ويمرّ حامله على المضريّة وفيه ذم باليمانيّة حتى مال الطرفان إليه. ثم نزل أبو مسلم بين نصر بن سيّار وبين جديع بن الكرماني فهابه الفريقان، وكثر أصحابه.

كتب نصر بن سيّار إلى الخليفة مروان بن محمد يُعلمه الوضع، وأن أبا مسلم يدعو إلى إبراهيم بن محمد. فأجابه: يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، احسم الأمر من قبلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده. فكتب إلى والي العراقين يزيد بن عمر بن

هبيرة يستمدّه. فقال يزيد: لا غلبة إلا بكثرة، وليس عندي رجل. وكتب نصر إلى مروان بن محمد يخبره خبر أبي مسلم، وظهوره، وقوته، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، فألقى مروان الكتاب وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم، كان قد عاد من عند إبراهيم، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبي مسلم جواب كتابه، يلعن فيه أبا مسلم ويسبّه، حيث لم ينتهز الفرصة من نصر وابن الكرماني إذ أمكناه، ويأمره ألا يدع بخراسان عربياً إلا قتله. فدفع الرسول الكتاب إلى مروان، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية وهو على دمشق، يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء، فيسير إلى الحميمة، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشدّه وثاقاً، وليبعث به إليه في خيل، فوجّه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم وهو في مسجد القرية، فأخذه وشدّه وَثاقاً وحمله إلى الوليد، فحمله إلى مروان فحبسه مروان.

واشتدّ الأمر بين نصر بن سيّار وبين ابن الكرماني، فبعث أبو مسلم إلى الكرماني أني معك، فَقَبِل ذلك الكرماني، وانضمّ إليه أبو مسلم، فاشتدّ ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرماني: ويلك لا تغترر فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه؛ ولكن هلمّ إلى

الموادعة، فتدخل مرو، فنكتب بيننا كتاب صلح ـ وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم ـ فدخل الكرماني منزله، وأقام أبو مسلم في المعسكر، وخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارسٍ، ثم أرسل إلى نصر: اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر منه غِرّةً، فوجّه إليه ابن الحارث بن سريج في نحوٍ من ثلاثمائة فارس، فاقتتلوا بها طويلاً.

ثم إن الكرماني طُعِن في خاصرته فخرّ عن دابته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به، فقتل نصر الكرماني وصلبه، فأقبل ابنه علي ـ وكان قد صار إلى أبي مسلم، وقد جمع جمعاً كثيراً ـ فسار بهم إلى نصر بن سيّار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة، فمال إلى بعض دور مرو، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مرو، فأتاه علي بن جديع الكرماني فسلّم عليه بالإمرة، وأعلمه أنه معه على مساعدته، وقال: مرني بأمرك، فقال: أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري.

ولما تعاقد نصر بن سيّار وعليّ بن الكرماني على الصلح، وهما يمثلان مضر من جهةٍ وقحطان مع ربيعة من جهةٍ ثانية، وكان ذلك لحرب أبي مسلم ومن معه. وكان سليمان بن كثير ساعتذاك بإزاء علي بن الكرماني

فقال له: يقول لك أبو مسلم: أما تأنف من مصالحة نصر بن سيّار، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه، ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيّار في مسجد تصليان فيه، فأُثيرت حفيظة علي بن الكرماني، ورجع عن رأيه، وانتقض صلح العرب.

وبعد أن انتقض صلح العرب بعث نصر بن سيّار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبعثت ربيعة وقحطان إلى أبي مسلم بمثل ذلك، فتراسلوا بذلك أياماً، فطلب أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما، ففعلوا. وأمر أبو مسلم أتباعه أن يختاروا ربيعة وقحطان، فإن السلطان في مضر، وهم عمال مروان بن محمد.

قدم الوفدان، فكان في وفد مضر عقيل بن معقل بن حسّان الليثي وعبيد الله بن عبد ربه الليثي والخطاب من محرز السُّلميّ، في رجالٍ منهم؛ فأمر أبو مسلم عثمانَ بن الكرماني وأصحابه أن يدخلوا فدخلوا وقد بسط لهم في المجلس، فقعدوا وجلس أبو مسلم في بيتٍ، وأذن لعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مضر، فدخلوا إليه، ومع أبي مسلم سبعون رجلاً من أتباعه.

قُرئ على أتباع أبي مسلم كتاب كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين، فلما فُرِغ من قراءة الكتاب، قام سليمان بن كثير، فتكلّم ـ وكان خطيباً مفوّهاً ـ فاختار علي بن الكرماني وأصحابه. وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم ـ وكان فصيحاً متكلماً ـ فقال كمقالة سليمان بن كثير، ثم قام مزيد بن شقيق السُّلميّ، فقال: مضر قتلة آل النبي ﷺ وأعوان بني أمية وشيعة مروان بن محمد، ودماؤنا في أعناقهم، وأموالنا في أيديهم، ونصر بن سيّار عامل مروان على خراسان، ويُنفّذ أوامره، ويدعو له على منبره، ويُسميّه أمير المؤمنين، ونحن من ذلك إلى الله برءاء وأن يكون مروان أمير المؤمنين، وأن يكون نصر على هدى وصواب، وقد اخترنا عليّ بن الكرماني وأصحابه من قحطان وربيعة. فقال السبعون الذين جُمعوا في البيت بقول مزيد بن شقيق.

فنهض وفد مضر عليهم الذلّة والكآبة، ووجّه أبو مسلم معهم القاسم بن مجاشع حتى بلغوا مأمنهم، ورجع وفد علي بن الكرماني مسرورين منصورين.

وكان حائط (بستان) مرو الذي فيه قصر الإمارة بيد نصر بن سيّار لأنه عامل خراسان، فأرسل علي بن

الكرماني إلى أبي مسلم أن ادخل الحائط من قِبلك، وأدخل أنا وعشيرتي من قِبلي، فنغلب على الحائط. فأرسل إليه أبو مسلم أن لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي، ولكن ادخل أنت فانشب الحرب بينك وبينه. فدخل علي بن الكرماني فأنشب الحرب. وبعث أبو مسلم أبا عليّ شبل بن طهمان النقيب في جند، فدخلوا الحائط، فنزل في القصر، وبعثوا إلى أبي مسلم أن ادخل، فدخل أبو مسلم، وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع التميمي حتى دخل الحائط، والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكفّ. ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة بمرو الذي كان ينزله عمال خراسان، وكان ذلك لتسعٍ خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة، يوم الخميس.

وهرب نصر بن سيّار عن مرو في اليوم التالي يوم الجمعة لعشرٍ خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة، وصفت مرو لأبي مسلم. وأمر أبو مسلم أبا منصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة من الجند ـ وكان أبو منصور رجلاً فصيحاً نبيلاً مُفوّهاً، وهو أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي من السبعين

الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ثلاثٍ ومائة، وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل البيت، ولا يُسمّي أحداً، فقدمها فدعا سرّاً، فأجابه ناس، فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثني عشراً نقيباً[1].

وكان أبو منصور طلحة بن رزيق يأخذ البيعة على الهاشمية: أبايعكم على كتاب الله عزّ وجلّ وسُنّة نبيّه ﷺ، والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله ﷺ

---

(١) النقباء الاثنا عشر هم:
١ ـ سليمان بن كثير. من خزاعة.
٢ ـ مالك بن الهيثم. من خزاعة.
٣ ـ زياد بن صالح. من خزاعة.
٤ ـ طلحة بن رزيق. من خزاعة. أبو منصور، وهو أبو زينب الخزاعي.
٥ ـ عمرو بن أعين. من خزاعة. وقيل: شبل بن طهمان.
٦ ـ قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان. من طيء. واسمه زياد.
٧ ـ موسى بن كعب «أبو عيينة». من تميم.
٨ ـ لاهز بن قريظ. من تميم.
٩ ـ القاسم بن مجاشع. من تميم.
١٠ ـ أسلم بن سلام «أبو سلام». من تميم.
١١ ـ خالد بن إبراهيم «أبو داود». من بكر بن وائل.
١٢ ـ أبو علي الهرويّ. من بني عمرو بن شيبان. وقيل: عمران بن إسماعيل «أبو النجم»، وهو ختن أبي مسلم.

عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، والطلاق والعتاق، والمشي إلى بيت الله، وعلى ألا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به ولاتكم، وإن كان عدوّ أحدكم تحت قدمه فلا تُهيجوه إلا بأمر ولاتكم[1].

وكان أبو مسلم يستشير أبا منصور طلحة بن رُزيق بن أسعد، وهو أبو زينب الخزاعي، إذ كان قد شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وصحب المهلب بن أبي صُفرة، وغزا معه.

فلما حبس أبو مسلم الخراساني سلْم بن أحوز، ويونس بن عبد ربه، وعقيل بن معقل، ومنصور بن أبي الخرقاء وأصحابه، شاور أبا منصور، فقال: اجعل سوطك السيف، وسجنك القبر؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم، وكانت عدتهم أربعةً وعشرين رجلاً.

جعل أبو مسلم على حرسه خالد بن عثمان، وعلى شرطه مالك بن الهيثم، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع، وعلى الديوان كامل بن مظفر، فرزق كل رجلٍ أربعة آلافٍ.

---

(١) تاريخ الطبري.

الفصل الخامس

سقوط الدّولة الأمويّة

بعد أن دخل أبو مسلم الخراساني مدينة مرو قاعدة خراسان بدأ بالتوسّع والتخلّص من الذين لم يأمنهم وإن كانوا إلى جانبه ظاهراً.

مقتل شيبان بن سلمة الحروري:

كان شيبان قد اجتمع مع علي بن جديع الكرماني على قتال نصر بن سيّار، فشيبان يخالف نصراً عصبيةً، فالكرماني يمانيّ ونصر مضريّ كما أن نصراً كان قد قتل أبا عليّ وهو جديع الكرماني.

ولما اتفق علي بن الكرماني مع أبي مسلم، وفارق شيبان تنحّى شيبان عن مرو إذ لا طاقة له بحرب أبي مسلم وعلي بن جديع الكرماني، وقد هرب نصر بن سيّار من مرو، وسار إلى سرخس.

وكانت موادعة بين أبي مسلم وبين شيبان فلما

انقضت أرسل أبو مسلم إلى شيبان يدعوه إلى البيعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتي، فبعث إليه أبو مسلم: إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت فيه. فأرسل شيبان إلى ابن الكرماني يستنصره، فأبى. فسار شيبان إلى سرخس، واجتمع إليه جمع كثير من بكر بن وائل. فبعث إليه أبو مسلم تسعةً من الأزد، فيهم المنتجع بن الزبير، يدعوه ويسأله أن يكفّ. فأخذ شيبان رسل أبي مسلم فسجنهم، فكتب أبو مسلم إلى بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث بـ(أبيورد) يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله ففعل، وانتصر بسّام على شيبان، وتبعه حتى دخل المدينة وقتله، وقتل عدداً من بني بكر بن وائل. فقيل لأبي مسلم: إن بسّاماً ثائر بأبيه، وهو يقتل البرئ والسقيم، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، فقدم، واستخلف على عسكره رجلاً.

مقتل عليّ وعثمان ابني الكرماني:

بعد دخول أبي مسلم مرو وجّه موسى بن كعب إلى (أبيورد) فدخلها، وكتب إلى أبيّ مسلم بذلك. ووجّه أبا داود إلى (بلْخ)، وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري، فلما بلغه قصد أبي داود بلْخ خرج في أهل ترمذ وبلخ وغيرها من كور (طخارستان) إلى

الجوزجان، فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا منهزمين إلى ترمذ، ودخل أبو داود مدينة بلخ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه، ووجّه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء على بلْخ.

كاتب يحيى بن نعيم أبو الميلاء زيادَ بن عبد الرحمن القشيري أن تصير أيديهم واحدةً، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيري، ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي، وعيسى بن زرعة السلمي، وأهل بلْخ، وأهل ترمذ، وملوك طخارستان، وما خلف النهر وما دونه، فنزل زياد بن عبد الرحمن وأصحابه على فرسخ من مدينة بلْخ، وخرج إليهم يحيى بن نعيم بمن معه حتى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدةً، مُضَرِيُّهم ويمانيهم وربَعِيُّهم ومن معهم من الأعاجم على قتال المسوّدة، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيّان النبطيّ، كراهةً أن يكون من الفرق الثلاثة.

أمر أبو مسلم الخراساني أبا داود خالد بن إبراهيم بالعود، فأقبل أبو داود بمن معه حتى اجتمعوا على نهر، وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجّهوا أبا سعيد القرشي، وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سوداً، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما،

واصطفوا للقتال، أمر أبو سعيد القرشيّ أصحابه أن يأتوا زياداً وأصحابه من خلفهم، فظنّ أصحاب زياد أنهم كمين لأبي داود، وقد نشب القتال بين الفريقين، فانهزم زياد ومن معه، وتبعهم أبو داود، فوقع كثير من أصحاب زياد في النهر، وقُتل عامة رجالهم المتخلّفين، ونزل أبو داود معسكرهم، وحوى ما فيه. ولم يتبع أبو داود زياداً خارج مدينة بلْخ حيث لم يتجاوزوها، ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى ترمذ. واستقامت بلْخ لأبي داود.

كتب أبو مسلم إلى أبي داود يأمره بالقدوم عليه، ووجّه النضر بن صبيح المريّ على بلْخ، وقدم أبو داود. واجتمع رأي أبي مسلم وأبي داود على أن يفرّقا بين علي وعثمان ابني جديع الكرماني.

بعث أبو مسلم عاملاً جديداً على بلْخ هو عثمان بن جديع الكرماني، فلما قدمها استخلف الفُرافصة بن ظُهير العبسيّ على مدينة بلْخ، وأقبلت المضرية من ترمذ وعليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جديع الكرماني فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب عثمان بن جديع، ودخل مسلم بن عبد الرحمن والمضريّة مدينة بلْخ،

وأخرجوا الفُرافصة بن ظُهير العبسيّ منها.

بلغ عثمان بن جديع والنضر بن صبيح الخبر وهما بمرو الروذ فأقبلا نحوهم، ووصل إلى أصحاب زياد بن عبد الرحمن والمضريّة خبر قدوم عثمان والنضر فهربت المضرية من بلْخ من ليلتهم تلك، والتقوا مع عثمان بن جديع الكرماني فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عثمان بن جديع، ورجع أبو داود خالد بن إبراهيم إلى بلْخ.

وسار أبو مسلم ومعه علي بن جديع الكرماني إلى نيسابور. واتفق رأي أبي مسلم ورأي أبي داود على أن يقتل أبو مسلم علياً، ويقتل أبو داود عثمان في يومٍ واحدٍ. فلما قدم أبو داود بلْخ بعث عثمان بن جديع عاملاً على الخُتّل فيمن معه من يمانيي أهل مرو وأهل بلْخ وربَعيّهم، فلما خرج عثمان من بلْخ خرج أبو داود في أثره، ولحقه، وأخذه وأصحابه وحبسهم جميعاً، ثم ضرب أعناقهم صبراً. وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم علي بن جديع الكرماني، وقد كان أبو مسلم أمره أن يُسمّي له خاصّته ليولّيهم، ويأمر لهم بجوائز وكسوةٍ، فسمّاهم له فقتلهم جميعاً.

قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم:

رجع قحطبة بن شبيب الطائي إلى أبي مسلم

الخراساني ومنصرفاً من عند إبراهيم بن محمد بن علي، وكان مع قحطبة اللواء الذي عقد له إبراهيم. وعندما وصل قحطبة إلى أبي مسلم جعله على مقدّمته، وضمّ إليه الجيوش، وجعل له العزل والتعيين، وكتب إلى الجنود بالسمع والطاعة له.

لما قتل أبو مسلم شيبان الحروري لحق أصحاب شيبان بنصر بن سيّار وهو بنيسابور، وكتب إليه النابي بن سويد العجليّ يستغيث، فوجّه إليه ابنه تميم بن نصر في ألفين، وتهيّأ نصر على أن يسير إلى طوس.

ووجّه أبو مسلم عمّاله على بلدان خراسان، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند، وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان، ومحمد بن الأشعث إلى الطَّبَسَيْن وفارس، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته.

ووجّه أبو مسلم إلى طوس قحطبة بن شبيب، ومعه عدد من القواد، منهم: أبو عون عبد الملك بن يزيد، ومقاتل بن حكيم العكيّ، وخالد بن برمك، وخازم بن خزيمة، والمنذر بن عبد الرحمن، وعثمان بن نَهيك، وجهور بن مرّار العجليّ، وأبو العباس الطوسي، وعبد الله بن عثمان الطائي، وسلمة بن محمد، وأبو

غانم عبد الحميد بن رِبعيّ، وعامر بن إسماعيل، ومحرز بن إبراهيم. وجعل أبا الجهم كاتباً لقحطبة على الجند.

التقى قحطبة مع أصحاب نصر بن سيّار في طوس فهزمهم، وقتل منهم يومئذٍ بضعة عشر ألفاً.

وكتب أبو مسلم إلى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيّار والنابي بن سويد ومن لجأ إليهما من أهل خراسان، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبيورد.

وكان أبو مسلم قد وجّه القاسم بن مجاشع إلى نيسابور.

قدم قحطبة بن شبيب إلى أبيورد فصرف موسى بن كعب إلى أبي مسلم، وكتب إلى مقاتل بن حكيم العكيّ يأمره أن يوجّه رجلاً إلى نيسابور، ويصرف منها القاسم بن مجاشع.

وجّه أبو مسلم الخراساني عليّ بن معقل في عشرة آلافٍ إلى تميم بن نصر بن سيّار، وأمره إذا دخل قحطبة طوس أن يستقبله بمن معه وأن ينضمّ إليه.

بلغ قحطبة مسير علي بن معقل فعجّل السير إلى تميم بن نصر والنابي بن سويد، وجعل على مقدّمته

أسيد بن عبد الله الخزاعي في ثلاثة آلافٍ من أهل نسا، وأبيورد، وعلم أسيد استعداد تميمٍ والنابي لقتاله فكتب إلى قحطبة استعدادهما، وأنهما في ثلاثين ألفاً من صناديد خراسان وفرسانهم. فوجّه قحطبة إليه مقاتل بن حكيم العكيّ في ألفٍ وخالد بن برمك في ألفٍ فالتقوا مع قوات تميم والنابي فهزموهم. وقدم عليهم قحطبة بمن معه.

تعبّأ قحطبة لقتال تميم والنابي، فجعل على ميمنته مقاتل بن حكيم وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخزاعي والحسن بن قحطبة والمسيّب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن، وصار هو في القلب، وزحف إليهم، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ وإلى الرضا من آل محمدٍ ﷺ فلم يجيبوه، فأمر الميمنة والميسرة أن يحملوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل تميم بن نصر بن سيّار في المعركة، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، واستبيح معسكرهم، وأُفلت النابي بن سويد مع عددٍ من أصحابه فدخلوا مدينة طوس وتحصّنوا فيها، فنقبوا عليهم الحائط ودخلوا إلى المدينة، فقتلوا النابي ومن كان معه، وهرب عاصم بن عمير السمرقندي وسالم بن

راوية السعيدي إلى نصر بن سيّار بنيسابور فأخبراه بمقتل تميم والنابي ومن كان معهما. فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه كلّف خالد بن برمك استلام ما فيه، ووجّه مقاتل بن حكيم العكيّ على مقدمته إلى نيسابور. فبلغ ذلك نصر بن سيّار فارتحل هارباً حتى نزل قومس وتفرّق عنه أصحابه فسار إلى جرجان، وقدم قحطبة بجنوده نيسابور.

دخول جرجان:

بعث يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراقين نباتة بن حنظلة الكلابي إلى نصر بن سيّار، فأتى فارس وأصبهان، ثم سار إلى الريّ، ومضى إلى جرجان، ولم ينضمّ إلى نصر. وقالت القيسية لنصر: لا تحملنا قومس فتحولوا إلى جرجان.

أقبل قحطبة بن شبيب إلى جرجان في شهر ذي القعدة سنة ثلاثين ومائة، وعلى ميمنته موسى بن كعب، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله، وعلى مقدمته الحسن بن قحطبة. وقدم قحطبة فنزل بإزاء نباتة بن حنظلة الكلابي وأهل الشام، ونشب بينهم القتال في مستهل ذي الحجة وكان على ميمنة قحطبة ابنه الحسن بن قحطبة، وعلى

ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكيّ، فقُتل نباتة بن حنظلة، وانهزم أهل الشام، وقُتل منهم عشرة آلافٍ. وقيل: إنه قتل من أهل جرجان ثلاثين ألفاً. وبلغ نصر بن سيّار نبأ مقتل نباتة بن حنظلة وما حلّ بأهل جرجان فترك قومس، وارتحل إلى قرب الريّ.

موت نصر بن سيّار:

بعث يزيد بن عمر بن هبيرة إلى نصر بن سيّار قوّة قوامها ثلاثة آلافٍ بإمرة عُطيف فلم يأت عطيف نصراً بل نزل الري.

وسار نصر إلى الريّ فخرج منها عطيف، وأقام نصر بالريّ يومين ثم مرض، فحُمل، وسير به نحو همذان، فلما كان بـ(ساوة) مات لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة. ودخل أصحابه بعد موته همذان.

دخول الريّ:

سار قحطبة بن شبيب إلى قومس، وفيها ابنه الحسن، كما جاء خازم بن خزيمة. وقدّم قحطبة ابنه الحسن إلى الريّ. وبلغ حبيب بن بديل النهشلي ومن معه من أهل الشام مسير الحسن، فخرجوا من الريّ،

ودخلها الحسن، فأقام حتى قدم أبوه.

وكتب قحطبة حين قدم الريّ إلى أبي مسلم يُعلمه بنزوله الريّ، فارتحل أبو مسلم من مرو، فنزل نيسابور وخندق بها.

دخول همذان:

وجّه قحطبة بن شبيب ابنه الحسن بن قحطبة إلى همذان، فخرج منها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند.

دخول نهاوند:

سار الحسن بن قحطبة من همذان إلى نهاوند، فنزل على أربعة فراسخ من المدينة، وأمدّه أبوه بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة، حتى أطاف بالمدينة وحاصرها، وبقي أهلها داخلها وعليهم مالك بن أدهم.

وبعد دخول أصبهان جاء قحطبة إلى ابنه الحسن بن قحطبة خارج نهاوند فحاصرها معه أشهراً، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوا، فوضع عليهم المجانيق، فلما رأى مالك بن أدهم ذلك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشام ـ وأهل خراسان لا يعلمون ـ فأعطاه الأمان، ووفى له

قحطبة فلم يقتل منهم أحداً، وقتل من كان في نهاوند من أهل خراسان، ومنهم ابن نصر بن سيّار، وعاصم بن عمير، وحاتم بن الحارث بن سريج، وعلي بن عقيل، وبيهس بن بديل من بني سُليم، وقطن بن حرب الهلالي، ودخل قحطبة نهاوند.

دخول أصبهان:

لما ورد إلى يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراقين خبر مقتل نباتة بن قحطبة بجرجان كتب إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر ـ وكانا بكرمان ـ أن يسيرا إلى قحطبة، فسارا بخمسين ألفاً فنزلوا على مقربةٍ من أصبهان، فبعث قحطبة إليهم مقاتل بن حكيم العكيّ مع بعض القادة، فسار حتى نزل (قم).

وبلغ عامر بن ضبارة نزول الحسن بن قحطبة على نهاوند، فأراد عامر أن يسير معيناً لأهل نهاوند، وبلغ الخبر مقاتل بن حكيم العكي فكتب إلى قحطبة يعلمه، فوجّه زهير بن محمد إلى قاشان، وخرج مقاتل بن حكيم من قم، وخلف عليها طريف بن غيلان. فكتب قحطبة إلى مقاتل أن يرجع إلى قم، وأن يقيم حتى يأتيه. وأقبل قحطبة من الريّ، ولحق بمقاتل فضمّ

عسكره إليه. وسار عامر بن ضبارة إليهم، وبينه وبين عسكر قحطبة فرسخ، فأقام أياماً، ثم سار قحطبة إليهم، فالتقوا وعلى ميمنة قحطبة مقاتل بن حكيم العكيّ ومعه خالد بن برمك، وعلى ميسرته عبد الحميد بن رِبعيّ ومعه مالك بن طريف، وقحطبة في عشرين ألفاً، وعامر بن ضبارة في مائة ألف.

التقى الطرفان بعضهم مع بعض، وهُزم أهل الشام، وقُتل منهم أعداد كبيرة، وحوَوْا عسكرهم، وأخذوا كثيراً من السلاح والمتاع. وقُتل عامر بن ضبارة، وفرّ داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة. وبعث قحطبة بالفتح إلى ابنه الحسن مع شريح بن عبد الله. ودخل قحطبة أصبهان.

معركة شهرزور:

وجّه قحطبة بن شبيب إلى شهرزور أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طريف الخراساني في أربعة آلاف، وكان في شهرزور عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان. فقدم أبو عون ومالك فنزلا على فرسخين من شهرزور، فأقاما به يوماً وليلةً، ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي

الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة فقُتل عثمان بن سفيان، وبعث أبو عون بالبشارة. مع إسماعيل بن المتوكل، وأقام أبو عون في بلاد الموصل.

وكان قحطبة وجّه أبا عون إلى شهرزور في ثلاثين ألفاً بأمرٍ من أبي مسلم. وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرّم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

ولما بلغ خبر أبي عون ومعركة شهرزور مروان بن محمد وهو بحرّان، ارتحل منها، ومعه جنود الشام والجزيرة والموصل حتى انتهى إلى الموصل، ثم أمر بحفر الخنادق حتى نزل على ضفة نهر الزاب الأكبر، وحشد بنو أمية أبناءهم معه إذ أدركوا أن الخطر قد وصل إليهم وأنهم الهدف.

مسير قحطبة إلى العراق:

بعد أن فرّ داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة من أصبهان، وقدم على أبيه أخذ يزيد يستعد لليوم الفاصل فقد وصل إليه الخطر، وأمدّه مروان بن محمد، وسار حتى نزل جلولاء، وسار قحطبة حتى نزل قرماسين، ثم سار إلى حلوان، ثم تقدّم من حلوان، فنزل خانقين، فارتفع يزيد إلى التل وابتعد عن الطريق، وجاز قحطبة

نهر دجلة، فارتحل يزيد بمن معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة. وقدم حوثرة بن سهيل الباهلي في خمسة عشر ألفاً، وهو مدد مروان إلى الكوفة، وسار يزيد بن عمر بن هبيرة بمن معه حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه قحطبة. وقاتل قحطبة مقدمة ابن هبيرة حوثرة بن سهيل، ثم قاتل محمد بن بناتة، وهُزم أهل الشام، ولكن فُقد قحطبة، وذلك في ليلة الأربعاء لثمانٍ خلون من شهر المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

بايع أهل خراسان الحسن بن قحطبة بعد فقد أبيه، فارتحل بالناس حتى نِزل كربلاء والمناطق القريبة منها.

وكان قحطبة قد قال لأصحابه قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة، فسلّموا هذا الأمر إليه.

دخول الكوفة:

كان على الكوفة زياد بن صالح الحارثي، وعلى شرطه عبد الرحمن بن بشير العِجليّ حيث كان ابن هبيرة في واسط، إذ خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ مسوداً، وسار إلى القصر يوم عاشوراء سنة اثنتين

وثلاثين ومائة، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العِجليّ ومن معهم من أهل الشام، وخلّوا القصر فدخله محمد بن خالد، فلما أصبح يوم الجمعة وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قحطبة.

بلغ محمد بن خالد، وهو في قصر الكوفة، أن حوثرة بن سهيل الباهلي قد نزل من مدينة ابن هبيرة، وأنه تهيّأ للسير إلى محمد بن خالد، فتفرّق عن محمد عامّة من معه.

كتب أبو سلمة الخلّال إلى محمد بن خالد يأمره بالخروج من القصر واللحاق بأسفل الفرات، فإنه يخاف عليه لقلّة من معه وكثرة من مع حوثرة، فأبى محمد بن خالد أن يفعل.

تهيّأ حوثرة للمسير إلى محمد بن خالد حيث بلغه قلة من معه وخذلان العامة له، فبينا محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه، فقال له: خيل قد جاءت من أهل الشام، فوجّه إليهم عدّة من مواليه، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد، إذ طلعت الرايات لأهل الشام، فتهيؤوا لقتالهم، فنادى الشاميون: نحن بجيلة، وفينا مليح بن خالد البجليّ، جئنا لندخل في طاعة الأمير. فدخلوا، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجلٍ من آل بحدل، فلما

رأى ذلك حوثرة وما صنع بعض أصحابه، ارتحل نحو واسط بمن معه، حيث هناك يزيد بن عمر بن هبيرة.

كتب محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ من ليلته إلى الحسن بن قحطبة يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، فلما وصل الكتاب إلى الحسن بن قحطبة قرأه على الناس، ثم ارتحل نحو الكوفة. فأقام محمد بن خالد بالكوفة ثلاثة أيام (الجمعة والسبت والأحد)، وصبّحه الحسن بن قحطبة يوم الاثنين، فأتوا أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع ـ ويقال له وزير آل محمد ـ وهو في بني سلمة، فخرج معهم، فعسكر بالنخيلة يومين، ثم ارتحل إلى حمام أعين ـ على نحو ثلاثة فراسخ من الكوفة ـ فوجّه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال يزيد بن عمر بن هبيرة، واستعمل على الكوفة محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ.

سار الحسن بن قحطبة إلى واسط ومعه من القادة: خازم بن خزيمة، ومقاتل بن حكيم العكي، وعثمان بن نهيك، وأبو خالد المروزي، وزهير بن محمد، والهيثم بن زياد، وسعيد بن عمرو، وخفّاف بن منصور، وزياد بن مشكان، والفضل بن سليمان، وعبد الكريم بن مسلم و. . . ستة عشر قائداً.

وسار حميد بن قحطبة إلى المدائن ومعه عدد من القادة.

وبعث قوة إلى عين التمر.

وأرسل بسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز، وبها عبد الواحد بن عمر بن هبيرة، فلما أتى بسام خرج عبد الواحد إلى البصرة، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهده على الأهواز.

وبقيت البصرة بيد سلْم بن قتيبة بن مسلم، وجرى قتال بينه وبين سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب، وانتصر سلْم بن قتيبة، وبقي بالبصرة حتى بلغه مقتل يزيد بن عمر بن هبيرة فارتحل عنها، فتولّى أمرها محمد بن جعفر عدة أيام حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل أبي مسلم، فوليها خمسة أيامٍ، فلما قام أبو العباس ولّاها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب.

خروج أبي العباس:

لما أُخِذ إبراهيم بن محمد من الحميمة للمضيّ به إلى الخليفة مروان بن محمد بن مروان نعى نفسه إلى أهل بيته حين شيّعوه، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع

أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وبالسمع له وبالطاعة، وأوصى إلى أبي العباس، وجعله الخليفة بعده، فشخص أبو العباس عند ذلك، ومعه من أهل بيته:

١ ـ أخوه عبد الله بن محمد بن عليّ «المنصور».

٢ ـ عمه صالح بن عليّ.

٣ ـ عمه إسماعيل بن عليّ.

٤ ـ عمه عبد الله بن عليّ.

٥ ـ عمه عبد الصمد بن عليّ.

٦ ـ عمه داود بن عليّ.

٧ ـ أخوه يحيى بن محمد بن عليّ.

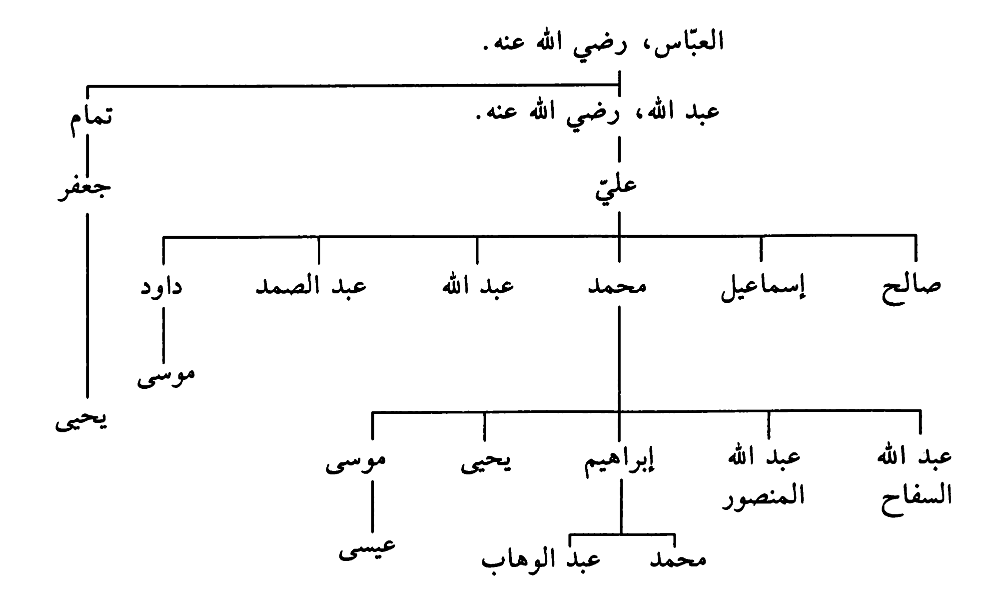
٨ ـ ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ.

٩ ـ ابن أخيه عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عليّ.

١٠ ـ ابن أخيه محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ.

١١ ـ ابن عمه موسى بن داود بن عليّ.

١٢ ـ يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس.


العبّاس، رضي الله عنه.
عبد الله، رضي الله عنه.
تمام
عليّ
جعفر
صالح
إسماعيل
محمد
عبد الله
عبد الصمد
داود
موسى
يحيى
عبد الله
السفاح
عبد الله
المنصور
إبراهيم
يحيى
موسى
محمد
عبد الوهاب
عيسى

قدم أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ومن معه الكوفة في صفر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فأنزلهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أوْد، وكتم أمرهم أربعين ليلةً عن جميع القواد والأتباع، وقيل: إن أبا سلمة كان يريد تحويل الأمر إلى آل أبي طالب.

وكُشِف مكان نزولهم عن طريق خادم أبي العباس، واسمه سابق الخوارزمي، فدخل القادة: موسى بن كعب، وأبو الجهم، وعبد الحميد بن رِبعيّ، وسلمة بن محمد، وإبراهيم بن سلمة، وعبد الله الطائي، وإسحاق بن إبراهيم، وشراحيل، وعبد الله بن بسام، وأبو حميد محمد بن إبراهيم، وسليمان بن الأسود، ومحمد بن الحصين فدخلوا على أبي العباس فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية؟ فقالوا: هذا، فسلّموا عليه بالخلافة.

خرج أبو العباس يوم الجمعة فخطب الناس، وصلّى بهم، كما خطبهم يوم بويع بالخلافة، وقام في أعلى المنبر، وصعد عمه داود بن عليّ فقام دونه. وكان أبو العباس موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن عليّ فقام دونه على مراقي المنبر فخطب الناس.

ثم نزل أبو العباس وداود بن عليّ أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أخاه أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلّى بهم العصر، ثم صلّى بهم المغرب، وجنّ عليهم الليل فدخل.

استخلف أبو العباس على الكوفة وأرضها عمّه داود بن عليّ، وبعث عمه عبد الله بن عليّ إلى أبي عون بن يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذٍ بواسط محاصر يزيد بن عمر بن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عبّاس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف، وبذا دعم قادته في مختلف المناطق بقادة آخرين.

موقعة الزاب:

أقام أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي بناحية الموصل بعد أن قتل عثمان بن سفيان في شهرزور من المدائن، وعثمان كان مقدمة عبد الله بن مروان بن

محمد، فلما وصل الخبر إلى مروان أقبل من حرّان، فنزل في رأس العين، ثم أتى الموصل فنزل على دجلة وحفر خندقاً، فسار إليه أبو عون، فنزل الزاب، ووجّه أبو سلمة إلى أبي عون مدداً عيينة بن موسى، والمنهال بن فتّان، وإسحاق بن طلحة، كل واحدٍ في ثلاثة آلافٍ، فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألفٍ وخمسمائةٍ، وعبد الحميد بن ربعي الطائي في ألفين، ووداس بن نضلة في خمسمائةٍ بعثهم إلى أبي عون أيضاً، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن عليّ: أنا، فقال: سر على بركة الله، فسار عبد الله بن عليّ، فقدم على أبي عون، فتحوّل له أبو عون عن سُرادقه وخلّاه وما فيه. وصيّر عبد الله بن عليّ على شرطته حيّاش بن حبيب الطائي، وعلى حرسه نصير بن المحتفز. ووجّه أبو العباس البريد إلى عبد الله بن عليّ مع موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً.

فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبد الله بن عليّ عن مخاضةٍ، فدُلّ على مخاضةٍ بالزاب فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلافٍ، فانتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتى

أمسوا، ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا، ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن علي، فأصبح مروان فعقد الجسر، وسرّح ابنه عبد الله بن مروان يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ، فبعث عبد الله بن عليّ أربعة آلافٍ عليهم المخارق بن غفار فأقبل حتى نزل على خمسة أميالٍ من عسكر عبد الله بن علي، فسرّح عبد الله بن مروان إليه الوليد بن معاوية فلقي المخارق، ووقع القتال، وهُزم أصحاب المخارق، وقُتل عدد منهم، وأُسر المخارق وعدد من عساكره، فأرسلهم الوليد بن معاوية إلى عبد الله بن مروان فبعث بهم عبد الله بن مروان إلى أبيه.

وبلغ عبد الله بن عليّ انهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: اخرج إلى مروان قبل وصول فلول الجيش إلى العسكر، فيظهر مالقي المخارق.

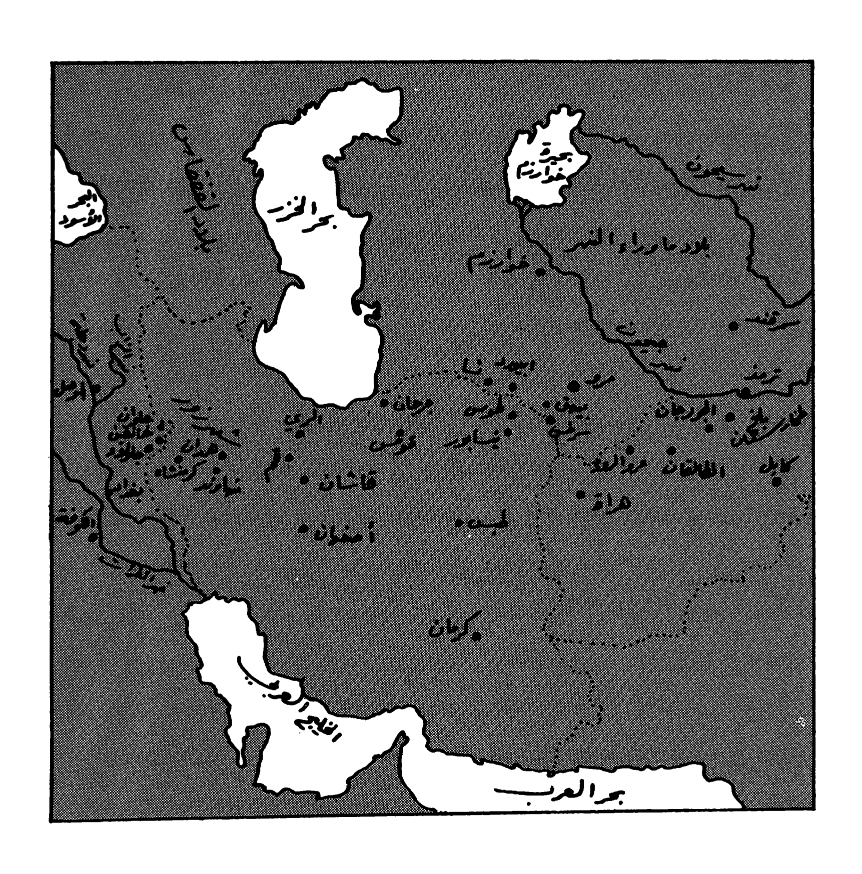
استخلف عبد الله بن عليّ على العسكر محمد بن صول، وسار هو وعلى ميمنته أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وعلى ميسرة مروان ختنه الوليد بن معاوية بن مروان. وجرى القتال بين ميمنة عبد الله بن عليّ وبين ميسرة مروان فانحاز أبو عون قائد ميمنة عبد الله بن عليّ إلى عبد الله بن عليّ. فقال موسى بن

كعب لعبد الله بن عليّ: مُر الناس فلينزلوا، فنودي: الأرض، فنزل الناس، وأشرعوا الرماح، وجثوا على الرُّكب، فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخّرون كأنهم يدفعون، واشتدّ بينهم القتال. وقال مروان لقضاعة: انزلوا، فقالوا: قل لبني سُليم فلينزلوا، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السَّكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا. فقال لصاحب شرطته: انزل، فقال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً.

قال: أما والله لأسوأنَّك، قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك. ثم انهزم أهل الشام، وانهزم مروان، وقطع الجسر، فكان من غرق يومئذٍ أكثر ممن قُتل، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ـ الخليفة المخلوع الذي تولّى قبل مروان ـ.

وأمر عبد الله بن عليّ فعقد الجسر على الزاب، فاستخرجوا ثلاثمائة من الغرقى فدفنوهم، ومنهم إبراهيم بن الوليد.

وكتب عبد الله بن عليّ إلى أمير المؤمنين العباسي بالفتح، وهرب مروان، وحوى عسكر مروان بما فيه. وكانت هزيمة مروان صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة


البحر الأسود
بلاد القفقاس
بحر الخزر
بحيرة خوارزم
خوارزم
بلاد ما وراء النهر
نهر جيحون
سمرقند
ترمذ
مرو
بيهق
سرخس
طوس
نيسابور
جرجان
قومس
الري
قم
قاشان
أصفهان
همدان
كرمنشاه
بغداد
الكوفة
الجوزجان
الطالقان
مرو الروذ
هراة
كابل
كرمان
الخليج العربي
بحر العرب

ليلةً خلت من شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

ورجع مروان بن محمد منهزماً من الزاب إلى حرّان فوجد أن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، والعباس بن الوليد بن عبد الملك، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز قد ماتوا في السجن نتيجة وباءٍ وقع بحران، كما وجد سعيد بن هشام بن عبد الملك، وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك، وعبد الملك بن بشر التغلبي، وبطريق أرمينية (كوشان) قد قُتلوا في السجن إذ حاولوا الخروج من السجن، وقتلوا صاحبه، فقتلتهم العامة بالحجارة، وبقي أبو محمد السفياني في السجن إذ لم يعمل على الخروج. وصل مروان إلى حران بعد قتلهم بخمسة عشر يوماً.

مقتل مروان بن محمد:

كان مع مروان بن محمد في الزاب مائة وعشرون ألفاً، ستون ألفاً في عسكره، ومثلهم في عسكر ابنه عبد الله. فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل، وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، فقطعوا الجسر، فناداهم أهل الشام: هذا مروان،

قالوا: كذبتم أمير المؤمنين لا يفرّ، فسار إلى بلدٍ، فعبر دجلة.

وكتب أبو العباس إلى عمه عبد الله بن عليّ يأمره باتباع مروان، فسار عبد الله إلى الموصل فتلقّاه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، وقد سوّدوا في أهل الموصل ففتحوا له المدينة، فولّى عبد الله بن عليّ على الموصل محمد بن صول.

وانطلق مروان إلى حرّان وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان، ابن أخيه عامله عليها، فأقام بها نيّفاً وعشرين يوماً. فلما دنا منه عبد الله بن عليّ حمل أهله وولده وعياله، ومضى منهزماً، وخلّف بمدينة حرّان أبان بن يزيد، وتحته ابنة لمروان يقال لها أم عثمان، وقدم عبد الله بن عليّ، فتلقّاه أبان مسوّداً مبايعاً له، فبايعه ودخل في طاعته، فآمنه ومن كان بحرّان والجزيرة، وهدم عبد الله بن عليّ الدار التي حُبس فيها إبراهيم بن محمد.

وسار عبد الله بن عليّ من حرّان إلى منبج وقد سوّدوا، فنزل منبج وولّاها أبا حميد المرورذي.

ومضى مروان حتى مرّ بقنّسرين وعبد الله بن عليّ

متبع له، فترك مروان قنّسرين، وارتحل إلى حمص. وقدم عبد الصمد بن عليّ إلى منبج في أربعة آلافٍ مدداً لأخيه عبد الله بن عليّ، أمدّه به أبو العباس، وبعث أهل قنّسرين ببيعتهم إلى عبد الله بن عليّ وهو في منبج، وأتاه بها عنهم أبو أمية التغلبيّ. فأقام عبد الله بن عليّ يومين بعد قدوم أخيه عبد الصمد إليه، ثم سار إلى قنسرين، فأتاها وقد سوّد أهلها، فأقام يومين، ثم تبع مروان إلى حمص.

كان مروان قد وصل إلى حمص، فتلقّاه أهلها بالأسواق وبالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم ارتحل عنها، فلما رأى أهل حمص قلّة من معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم، فاتّبعوه بعدما رحل عنهم، فلحقوه على أميالٍ، فلما رأى غبرة خيلهم أكمن لهم في واديين قائدين من مواليه، يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلّد، فلما دنوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذراري صافّهم فيمن معه وناشدهم فأبوا إلا قتاله، فنشب القتال بينهم، وثار الكمينان من خلفهم، فهزمهم وقتلتهم خيله حتى انتهوا إلى قرب المدينة.

ووصل عبد الله بن عليّ إلى حمص، فأقام بها أياماً، وبايع أهلها، ثم سار إلى بعلبك، فأقام يومين ثم

ارتحل، فنزل بـ(عين الجرّ)، فأقام يومين ثم ارتحل.

مرّ مروان بدمشق، وعليها ابن عمه الوليد بن معاوية بن مروان، وهو ختنه زوج ابنته أم الوليد، فمضى مروان وخلّف ابن عمه الوليد بن معاوية على دمشق حتى قدم عبد الله بن عليّ.

وصل عبد الله بن عليّ إلى دمشق فنزل بـ(المِزّة) قرية غربي دمشق، فأقام. وقدم عليه أخوه صالح بن عليّ مدداً، فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف، ومعه بسّام بن إبراهيم، والهيثم بن بسّام. ثم سار عبد الله بن عليّ فنزل على الباب الشرقي، ونزل صالح بن عليّ على باب الجابية، وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي على باب كيسان، وبسّام بن إبراهيم على باب الصغير، وحميد بن قحطبة على باب توما، وعبد الصمد بن عليّ، ويحيى بن صفوان، والعباس بن يزيد على باب الفراديس، وفي دمشق الوليد بن معاوية بن مروان، فحصروا أهل دمشق والبلقاء، وتعصّب الناس بالمدينة، فقتل بعضهم بعضاً، وقتلوا الوليد بن معاوية، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة. فكان أول من صعد سور المدينة من الباب الشرقي عبد الله

الطائي، ومن قبل باب الصغير بسّام بن إبراهيم فقاتلوا بها ثلاث ساعاتٍ. وأقام عبد الله بن عليّ بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم تبع مروان بن محمد.

سار مروان بن محمد جنوباً فمرّ بالأردن، فشخص معه ثعلبة بن سلامة العامليّ، وكان عامله عليها، وتركها ليس عليها والٍ، حتى قدم عبد الله بن عليّ فولّى عليها، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرماحس بن عبد العزيز فشخص به معه، ومضى حتى قدم مصر.

تبع عبد الله بن عليّ جنوباً مروان بن محمد بعد خروجه من دمشق، فنزل عبد الله نهر الكسوة، ثم ارتحل إلى الأردن، فأتوه وقد سوّدوا، ثم نزل بيسان، ثم أتى نهر أبي فُطْرُس[1]. وهناك جاءه كتاب أبي العباس: أن وجّه صالح بن عليّ في طلب مروان.

قدم مروان بن محمد مصر فسار إلى الصعيد، ونزل في بلدة (بوصير)، واختفى في كنيسة البلدة.

وسار صالح بن عليّ وراء مروان فانطلق من نهر

---

(١) نهر أبو فُطْرُس: نهر يقع شمال الرملة باثني عشر ميلاً، ويبدو أنه الذي يعرف اليوم باسم نهر العوجاء. تأتي مياهه من جنوب نابلس، ويصب في البحر المتوسط شمال مدينة يافا.

أبي فُطْرُس في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومعه ابن فتّان، وعامر بن إسماعيل، وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، فقدّم صالح بن عليّ أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير الحارثي، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم، وأسروا منهم رجالاً، فقتلوا بعضهم، واستحيوا بعضاً، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه، على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه في كنيسة بوصير، ووافوهم في آخر الليل، فهرب الجند، وخرج إليهم في نفرٍ يسيرٍ، فأحاطوا به فقتلوه يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. فكان عمره يوم قتل ستين سنةً، وكانت ولايته من يوم بويع إلى أن قُتل خمس سنواتٍ وعشرة أشهرٍ وستة عشر يوماً.

وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بُيِّت مروان إلى أرض الحبشة، فلقوا من الحبشة بلاءً وقاتلتهم الحبشة، فقتلوا عبيد الله، وأُفلت عبد الله في عددٍ ممن معه، فسلم حتى كان في خلافة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي.

أما صالح بن عليّ فقد رجع إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام، فدفع الغنائم إلى أبي عون، والسلاح والأموال والرقيق إلى الفضل بن دينار، وخلّف أبا عون على مصر.

وبمقتل مروان بن محمد بن مروان الأمويّ خلا الجو لعبد الله بن محمد بن علي العباسيّ فأصبح خليفةً شرعياً بالغلبة، أما يوم بويع وحتى مقتل مروان بن محمد فلم تكن خلافته صحيحةً لقيام خليفةٍ شرعيٍ، ولا يصحّ قيام خليفتين في وقتٍ واحدٍ.

الفصل السّادس

أسـرة مروان بن محمّـد

لم يُعتن بأسر أواخر خلفاء بني أمية إذ طغت الخلافات على الأحداث، وزاد الاهتمام بالوقائع فلم يلتفت إلى زوجات وأولاد الخلفاء.

ولكن ذكر المؤرخون أبناء مروان الذين شاركوا بالأحداث أو كان لهم دور في بعض الوقائع، فمن الأبناء الذين ذكروا.

١ ـ عبد الملك بن مروان بن محمد: ويكنى به أبوه، وقد دُرِّب على القتال، فقد أرسل على رأس صائفةٍ، ولما بلغه مقتل الوليد بن يزيد انقضّ على الجزيرة، وطرد واليها منها، وضبط أمورها، ثم طلب من أبيه أن يُسرع إليه من أرمينية.

وعندما سار مروان من الجزيرة يريد الشام، ترك ابنه عبد الملك ردءاً له بالرقة على رأس أربعين ألف مقاتلٍ.

٢ ـ عبد الله بن مروان بن محمد: وقد دُرِّب على القتال أيضاً، وكان على مقدّمة أبيه، وبعثه أبوه قائداً عدة مراتٍ، وكان يوم الزاب على رأس ستين ألف مقاتلٍ. وتزوج عائشة بنت هشام بن عبد الملك.

وبقي بجانب أبيه حتى قُتل أبوه، وانطلق هو هارباً إلى الحبشة مع أخيه عبيد الله، أما عبيد الله فقد قُتل هناك، وأُفلت عبد الله، واستطاع التسلّل إلى الشام، وعاش مختفياً في فلسطين حتى كانت خلافة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي، فوضعه في السجن حتى وافاه الأجل.

٣ ـ عبيد الله بن مروان بن محمد: وكان بجانب أبيه في أواخر حياته، وشهد مصرعه، وهرب مع أخيه عبد الله إلى الحبشة، وهناك لقي مصرعه.

وكان قد تزوّج أم هشام ابنة هشام بن عبد الملك.

أما بقية الأولاد فلا نعرف شيئاً عنهم، وهم:

٤ ـ محمد بن مروان.

٥ ـ عبد العزيز بن مروان.

٦ ـ أبان بن مروان.

٧ ـ يزيد بن مروان.

٨ ـ محمد الأصغر بن مروان.

٩ ـ أبو عثمان بن مروان.

أما البنات فلم يُذكر له سوى بنتين، وهما:

١ ـ أم عثمان بنت مروان: وقد تزوّجت ابن عمها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان، الذي كان نائب أبيها مروان على حرّان، وعندما غادر مروان حرّان هارباً إلى الشام، وجاء عبد الله بن عليّ استقبله أبان، وسوّد، فأمّنه عبد الله بن عليّ، وتركه والياً على حرّان والجزيرة.

٢ ـ أم الوليد بنت مروان: وتزوّجت ابن عم أبيها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، وكان والياً على دمشق لمروان، وقتله عبد الله بن عليّ عندما دخل دمشق وخرج منها مروان.

وبقيت بعض بناته معه حتى قُتل في بوصير ورأسه في حجر إحدى بناته، هذا ما فعله عامر بن إسماعيل الخراساني الذي تولّى قتل مروان.

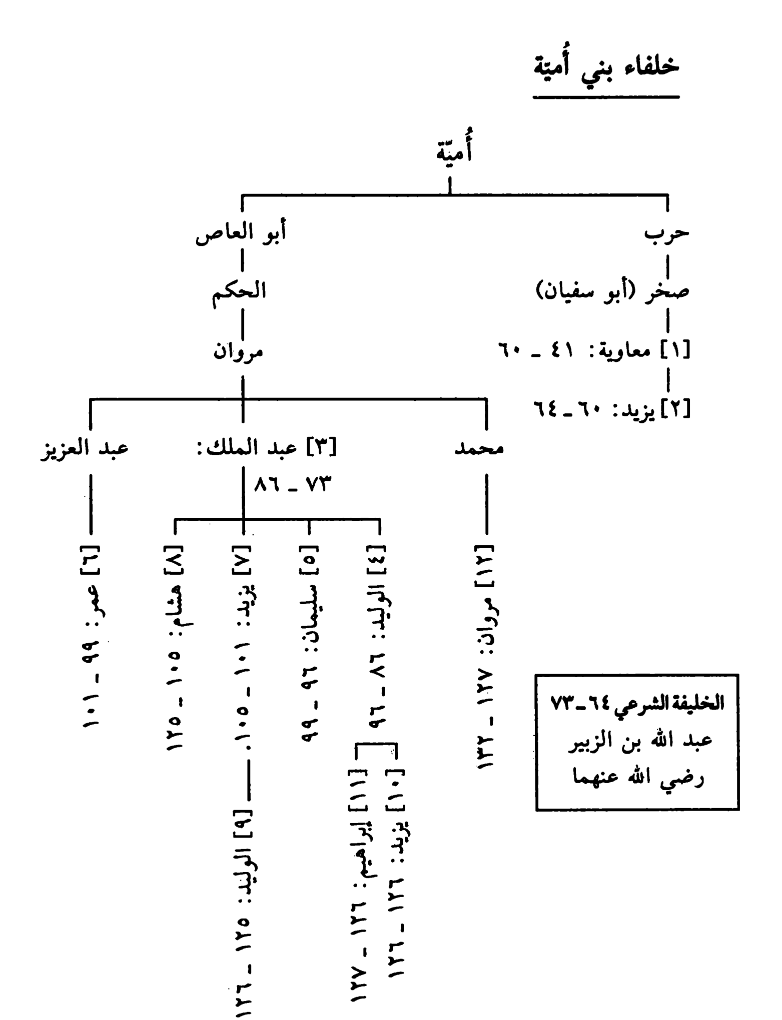
ولما قُتل مروان قصد عامر بن إسماعيل الكنيسة التي فيها حرم مروان ـ وكان قد وكّل بهنّ خادماً وأمره

أن يقتلهنّ بعده ـ فأخذه عامر، وأخذ نساء مروان وبناته فسيّرهن إلى صالح بن عليّ، فلما دخلن عليه تكلّمت ابنة مروان الكبرى فقالت: يا عمّ أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحبّ حفظه نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا، قال: والله لا أستبقي منكم واحداً، ألم يقتل أبوك ابن أخي إبراهيم بن محمد؟ و. . . وأخذ يُعدّد ما يحملونه على بني أمية. . . قالت: فليسعنا عفوكم، فقال: أما هذا فنعم، وإن أحببتِ زوّجتكِ ابني الفضل، فقالت: وأيُّ عزٍّ خير من هذا، بل تلحقنا بحرّان، فحملهنّ إليها، فلما دخلنها، ورأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

خلفاء بني أمية



الخاتمة

رأينا أن هذه المرحلة من أواخر عهد بني أمية قد زاد فيها الخلاف بين رجالاتهم، وكثر اللهو عند بعضهم، وبزغ قرن العصبية القبيلية، فألهبت في فتنتها بعض الأقاليم، وأخلد الناس إلى الأرض، ورضوا بالحياة الدنيا، وانغمسوا في فتنتها، يغبّون بما حصلوا عليه من نعيمٍ نتيجة الفتح، وسيرهم مجاهدين في سبيل الله، فكان في ذلك عزّهم ومجدهم ورفعتهم. فالأُعطيات تكفيهم وتزيد، ومواليهم يضربون في الأرض في كل مهنةٍ ويأتونهم بالمزيد، والجواري يخدمْنَهم، وبهن يتمتعون. فالسماء لهم صافية، والشمس مشرقة، والمُناخ جميل، والنسيم عليل، والإنتاج وفير، والخير عميم، وهم يرفلون بالنِّعم.

وتغيّرت النفوس فتغيّرت الأوضاع، توانوا في الجهاد، فتوقّف الفتح، وتحرّك المغلوبون، وقاموا يُغيرون على من غلبهم بالأمس، واندلعت الفتن، وأخذ كل يُقاتل بمواليه، ويحتمي بعشيرته، ويعتزّ بقبيلته، ويُباهي بإقليمه.

ولكل داءٍ دواء يستطب به، ولكل ظاهرةٍ علاج تُعالج به، وهنا ينفع النصح، ويصلح التذكير بالحق، وتُجدي الدعوة للرجوع إلى الإسلام إذ أعزّنا الله به. ولا تصلح العاطفة.

إذ كثيراً ما استغلت في التضليل، واتخذت وسيلةً للمغالطات، واستفاد المتلوّنون من عاطفة المسلمين في حب آل البيت، فادعوا العمل لهم، وتباكوا محبةً لهم، والله يشهد إنهم لكاذبون.

وجاء ما طغى على كل ما ذُكِر، وأتى ما غطَّى على كل وسيلةٍ للإصلاح، ونبع ما لم يكن بالحسبان حيث لم يعرفه المسلمون من قبل، ولم يخطر على بال أحدهم حدوثه، فالموتور يطالب بثأره، والمغلوب يدعو لنصرته، والمعتدى عليه يسعى لحصوله على حقه. أما هؤلاء المتلوّنون فلا دين لهم، ولا دعوة يُعلنونها.

وقف المتلوّنون في الظلام من غير سلاحٍ يُثيرون حرباً شعواء على بني أمية بالشائعات والأراجيف والافتراءات، يستظلّون باسم الطالبيين لما حدث للطالبيين من وقائع على الساحة، وما ذاك حباً بالطالبيين، فالطالبيون مسلمون ولا يمكن للمتلوّنين أن يحبوهم، كما أن ذاك ليس كرهاً خاصاً بالأمويين،

فالأمويون مسلمون فكراهية المتلوّنين لهم ككراهيتهم لبقية المسلمين، ولكنهم هنا يمثّلون المسلمين، ويحكمون باسم الإسلام، فالهجوم عليهم حرب على الإسلام وتسديد مباشرةً إلى القلب.

وما حدثت حركة في المجتمع الإسلامي إلا وسعى المتلوّنون لدعمها معنوياً وتأييدها بالشائعة والتشجيع، وحثّ الآخرين للالتحاق بالحركة وما ذاك إلا حقداً على المسلمين وحرباً للإسلام.

ولما لم ينشط الطالبيون، وقامت الدعوة للعباسيين وقف المتلوّنون إلى جانبها حتى دفعوا بها إلى الأمام أشواطاً، وتركوا ما كانوا يستظلّون بهم بالأمس، وما ذاك حباً بالعباسيين أو بغضاً للطالبيين بل سيراً مع الأقوى الذي يعمل على ضرب المجتمع الإسلامي بعضه ببعضٍ حقداً على المسلمين وحرباً للإسلام.

ولما قام العباسيون أصبحوا يمثّلون المسلمين ويحكمون باسم الإسلام فالهجوم عليهم كالهجوم على الأمويين سابقاً لذا وجّهوا السهام نحوهم، واتخذوا السلاح نفسه الذي اتخذوه ضدّ الأمويين من شائعاتٍ، وأكاذيب، وتشجيعٍ للآخرين للعمل ضدّ العباسيين بل إن هؤلاء المتلوّنين قد ساروا في البداية مع جيوش

العباسيين، وقاموا بأعمال قذرةٍ تُسيء إلى العباسيين، وتُثير الناس عليهم، وتُسبّب الكراهية الشديدة لهم مثل نبش القبور، وإخراج الجثث، وصلب من يمكن صلبه من أعدائهم الأمويين رغم عدم وجود فائدةٍ من ذلك سوى الإساءة للعباسيين، وفعلاً فإن المؤرخين دوَّنوا ذلك ضدّ العباسيين، وأغفلوا دور المتلوّنين.

استقرّ الوضع للعباسيين فأخذ المتلوّنون يُثيرون الفتن ضدّهم، ويُشاركون في الحركات عليهم باسم الطالبيين، وإذا وجدوا الظروف مناسبةً لهم قاموا بحركاتٍ مُعاديةٍ صراحةً تُروّج للمجوسية، وتدعو لها. وإن لم يتخلّوا عن الطالبيين أبداً لكسب العاطفة نحو آل البيت.

وعندما لم يجدوا نشاطاً كافياً للطالبيين مدّوا يدهم للمغول فساهموا بالقضاء على الخلافة العباسية.

إن المتلوّنين ليسوا دعاةً للطالبيين ولا يُؤيّدونهم، كما ليسوا دعاةً للعباسيين ولا ينصرونهم بل دعاةً للفتنة، وأنصاراً للتفرقة، وأعداءً للإسلام ويكرهون أتباعه كلهم بما فيهم الطالبيين والعباسيين، ولكن يحرصون على استغلال العاطفة الإسلامية في حب آل البيت ليُحقّقوا من ورائها ما يرسمون له.

وشاءت إرادة الله أن تنتهي الدولة الأموية وأن تقوم على أنقاضها الدولة العباسية.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[3].

نرجو من الله العلي القدير أن يُعيد للمسلمين مجدهم، وأن ينصرهم على عدوهم، فهو على كل شيءٍ قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة يونس: الآية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

المحتوى